

أبو العنابه بن القديم والمجدد

بقلم لطيفة الشهابي

حين نكتب دراسة أو نجري بحثا تحت هذا العنوان لا بد أن نكون قد سلمنا مقدما بأن هناك قديما وجديدا في الشعر العربي . وغني عن البيان أن مسألة القدم والجدة مسألة نسبية ، فالذي نسميه جديدا عند أبي العنابه إنما هو قديم بالنسبة إلينا . وذلك الجزء من التجديد الذي طرا على الشعر العربي على يدي جميل بثينة وعمر بن أبي ربيعة واضرابهما كان قديما عند أبي العنابه . وهكذا فكل جديد صائر إلى القدم .

ونحن إنما نتجه إلى دراسة أبي العنابه بين القديم والذي هو الشعر الجاهلي والإسلامي وما بعده بقليل ، والجديد الذي عاشه أبو العنابه وإثرانه وأبدعوا فيه وأبتكروا ، أن استطعنا أن نجد في شعرهم أبداعا وأبتكارا .

وتبلى أن نتحدث عن قديم الشاعر وجديده على أن احدد النواحي التي تناولها هذا التجديد ، والمواضع التي كان يمكن أن يظهر فيها القديم إذا لم يظهر . وذلك هي : (اغراض الشعر - صوره ومعانيه والفن - أوزانه - هيكل القصيدة العربية العام) . ومن المفيد أيضا أن القدم لمحة موجزة عن تطور تلك القصيدة منذ صدر الإسلام حتى عصر الشاعر فأتول :

إن القصيدة العربية في صدر الإسلام لم ينلها من التغيير إلا الشيء اليسير من حيث المعاني والألفاظ الإسلامية التي دخلتها . ذلك هو الشكل العام الذي لوحظ في التجديد الشعري ، ولكننا نلمس بعض الومضات الطيلة من التجديد عند حديد بن ثور في قصائده ذات الأسلوب القصصي الذي يعد امتدادا وتطورا لما أورده لنا امرؤ القيس من قصص مغامراته الجريئة .

ولم يكد الصدر الأول من الحياة الإسلامية ينتهي حتى جاء العهد الأموي وجاء الشعراء المغربون وعلى رأسهم جميل الذي وجد الغرض في سائر أشعاره تقريبا ، فلم يقل شعرا إلا في الغزل وفي صاحبتة بثينة بصورة خاصة . ثم كان هناك شعراء الفئة الأخرى التي تزعمها واستخدم حينها الأوزان الخفيفة ، وكان تارة يصدر قصيدته بالوقوف على الأطلال وتارة يترك لنا وصف ناقته إلى آخر القصيدة كما فعل في رأيته المشهورة :

أين آل نهم أنت غدا فبكر غدا غدا غدا راح نهمجر

وأذا وجدنا جميل بن مبرر يوحد الغرض في غالبية أشعاره أن لم تقل في كلها ، فذلك ربما عدناه جديدا لأن أحدا من الشعراء الجاهليين لم يسبق له أن قصر شعره على الغزل وحده . وقد نعدده قديما إلى حد ما ، ذلك أن هنالك شعراء جاهليين قد اكتفوا بغرض واحد في أشعارهم ، أو كادوا ، كما فعلت الخنساء واضرابها من أصحاب المراثي الذين صنّفهم ابن سلام الجهمي في طبقاته تصنيفا منفردا . وكأنه رأى أنهم لا يمكن أن يوازوا طبقة الفحول بسبب انتصارهم في أشعارهم على غرض واحد .

أما ما عدا تلك الملاحظات الموجزة فقل أن نجد خروجا على التقسيم . إذ أن الشكل التقليدي للقصيدة العربية بقي على حاله ولم ينل أي تغيير في الموضوعات ولا في الأوزان أو سواها . ولم تظهر الأوزان الخفيفة على نطاق واسع إلا في العصر العباسي .

وأذا رأينا بعض القصائد الإسلامية خالية من ذكر الأطلال فذلك لا يمكن أن نعتبره من الجدة في شيء . إذ أنني اعتقد أنه حتى في العصر الجاهلي كانت هناك قصائد ليس فيها تلك المقدمات ، وذلك حين يكون الشاعر غير متجهل في إنتاجه ، كما فعل النابغة في قصيدة (وادي أقر) حين ابتدأ أبياته قائلا :

فقد نهيت بني ذبيان عن امر وعن تربهم في كل اصفار

أما إن كتبت تلك المقدمات قد فقدت من القصائد أو نسبت فذلك أمر آخر .

وأذا وصلنا إلى أبي العنابه وذهبنا ننقش القديم والجديد في اغراضه الشعرية لاحظنا في الحال أنه قد ابتكر في الشعر العربي موضوعا جديدا ، وغرضا قصر عليه غالبية أشعاره . ولمعري أن مثل هذا الغرض لم يكن المجتمع الإسلامي الأول بحاجة إليه قبل العصر العباسي ، وأن ما بلغه كبراء ذلك العصر ووجهؤه من غنى وترف دفع برجل بالغ جرار ذي موهبة شعرية فذة إلى أن يبتكر مثل هذا الغرض ، أو يكثر القول فيه إن كانت له جذور سابقة . ذلك أن الحياة العربية الإسلامية قبل العصر العباسي لم تكن تستدعي شيئا من هذا الزهد ولا من ذاك التصوف ، فالمصاحبة انفسهم لم يكن بينهم الزاهد المتصوف العارف من الدنيا ، وإنما كان منهمجهم : (أعمال لذينك كاتك تعيش أبدا وأعمل لأخرك كاتك تموت غدا) .

والإسلام ذاته لم يحض على الزهد فضلا من أن نفسية العربي بطبيعتها بعيدة كل البعد عن هذا اللون من التصوف . ولذا فربما كان لأصل شاعرنا الأعجمي أثر في هذه النزعة أيضا . وأنتي حين أعالج هذه الناحية أعالجها من حيث هي مبدا دعا إليه أبو العنابه في سائر زهدياته ولا يهمني أن كان طبقه على نفسه أو لم يطبقه . فذلك

أمر يتعلق بدراسة شخص الشاعر ومذهبه الديني والفلسفي وهو ما لم أقصد إليه .

لذا أعود لأقول أن ديوان شاعرنا قد ابتلا بالدعوة إلى الزهد والتفكير في مصير هذا الإنسان الصائر إلى الزوال والهلاك ، مهما طال به الأمد وأمدت أمله طريق الحياة . إلا أن ذلك الغرض الذي ملا على الشاعر انقطاع نفسه لم يكن ليمنعه من أن يقول شعرا في المديح — وأن كان قليلا — سواء أراد التعبير الحقيقي عن مشاعره أم كانت غايته التكسب والعطاء .

ولقد مدح أبو المعاهية الخلفاء العباسيين . وتقول أخباره أنه كان مقدما ومفضلا عند الرشيد . وأن ابن الأعرابي شهد له بتقدمه في المديح أمام بعض الأديباء وقال : أوليس أبو المعاهية الذي يقول في مديح الرشيد : جرى لك من هارون بالسد ظناره أمام اعزاز لا تصاف بوارده هو الملك الجبور نسا على التقى صلبة من كل سوء عسكره ألا تكب الاسلام يوما بنكة هارون من بين البرية نكرة

ومن مدائحه أيضا الإبيات التي مدح بها الخليفة المهدي ومنها :

اتته الخلافة بنقادة اليه تجرر الابلها
ولم نك نصلح الا له ولم يك يملح الا لها
ولو لم نطمع ببات القلوب لما قبل الله أعمالها

ويروى أن بشارا كان حاضرا مجلس المهدي حين قالها أبو المعاهية وأنه أعجب بها كثيرا .

ومها يكن من أمر المديح عنده فلا بد أن نحسن بقله نسبيا وكذلك شأن بقية الأغراض المعروفة من هجاء ورناء وعتاب . وغير ذلك إذ لا تتجاوز اشعاره فيها جزءا بسيطا من ديوانه بينما يشغل الزهد القسم الأكبر منه . وهذا يخالف ديوان أبي نواس مثلا ، حيث تعدد أغراض الشعر فيه وتنشعب .

وظل الزهد طامعا على لسان الشاعر يوجهه في كل مناسبة حتى مكته من أن يحول شعر الاطال إلى شعر في ذكر القبور والأحداث ، فبينما كان الشاعر الجاهلي يذكر لنا في موطنه المؤثر رحيل القوم والآثر التي دلت عليهم من نوى ولوار وثائق سلخ ، ويذكر لنا الطير والوحش التي سكنت تلك الديار بعدهم جاء أبو المعاهية بصف دوائر الزمان ويقول :

ابن القرون الماضية تركوا المسائل خالية
فانبتت بهم دبا رهم الرياح الهاوية
وتشتت عنها الجوع وفارتها الفاتية
درجوا لما ابتت صروف الدهر منهم باقية
فلئن عقلت لتيك هم بعين بكية
لم يسل منهم بعدهم الا العلكام البالية

فأبو المعاهية يفت مع أبي نواس على طريقي نقض من

حيث تجد يد الشاعرين في أغراض الشعر بصورة خاصة : ذلك أن الأول تناول تجديد الزهد والتصوف والوعظ ، وأما الثاني فقد جدد في اللهو والمجون والطرب والخبرة . وأذن فإن فكرتنا تستظل ثابتة بأن أبا المعاهية جدد في أغراض الشعر العربي إذ أوجد فكرة الزهديات ووضعها أمام غيلسونفا أبي العلاء لكي يفلسفها — كما يقولون — ويخرجها واضحة في شعره وفي نموذج الحياة التي عاشها مع الأبناء على ملاحظة الفوارق البعيدة بين الشاعرين .

وإذا حاولنا البحث عن تجديد أبي المعاهية في معاني الشعر العربي فليس من حقنا أن نولي عنايتنا لما قاله في المديح والرناء والهجاء وما إلى ذلك لأن تلك الأغراض لم تشغل من وقته إلا يسيرا . ونحن يرونا جمالا المعنى وجدة الصورة وقربها في قوله :

اتته الخلافة بنقادة اليه تجرر الابلها

فإننا نذكر أن البيت لا يزيد عن كونه وليد لحظة خيالية عابرة سرت في ذهن الشاعر فمصاغها لنا الفاظا بسيطة موزونة حفظت حتى عصرنا هذا . ولا نكاد نجد في مدائحه ما تعوفنا رؤيته وسامعه من صور بلاغية مختلفة يوردها الشعراء يتصيد ويودون قصد ، وذلك لأن التصوير كان قليلا في سائر أغراضه الشعرية بالنسبة إلى غيره .

أما المكان الذي يجب أن نظلم فيه جدة المعاني فإنه الزهديات فقط لأنها الغالبية على ديوانه . وإننا إننا لن نرى تلك المعاني جديدة على الأذهان . . وإنما هي جديدة على الشعر فقط . فأننا لا نعتقد أن قول الرسول الكريم : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) قد صاغه أحد في لفظ شعري قبل أبي المعاهية حين قال :

ودع ما يريبك لا تنه وجزه إلى كل ما لا يريب
فهذا الحديث معروف متداول ولكن شاعرنا تأثر بما فيه من معنى لمعبر عنه بالفاظه ذاتها مع شيء من التقديم والتأخير لكي يستقيم الوزن .

وإننا لأجد زهديات أبي المعاهية تعج بمعنى أو معان خاصة مكررة ربما كانت جديدة في عالم الشعر . فهو يلح على تذكير سامعه وقارئه بأن كثيرا ممن كانوا بيننا وكانوا من أعز الناس إلينا قد طواهم الموت وابتلعهم الأرض :

الا كل ما هو آت قريب ولقار من كل حسي نصيب
ولتأس حب لظول الفيا فيها للموت فهم ديب
وكم من اناس رأيتهم ففانوا فلم يبق منهم قريب
وصاروا إلى حفرة تحوي ويسلم فيها الصيب الحبيب

وهو لا يبعد في معانيه كثيرا بل يدور فيها حول فكرة معينة ، وهي تنبيه الإنسان إلى أنه صائر إلى الفناء وذلك نحو قوله :

الا كل مولود فلولت يولد ولست أرى حبا لشئ يخلد

نجدد من الدنيا فانك انما سقطت الى الدنيا وانت مجرد وشبح الموت لا يكاد يفارق ذهنه كما هو واضح ولذا غاته يكرر هذا المعنى كثيرا :

الموت لا والدا يبقى ولا ولدا ولا صغيرا ولا شيخا ولا احدا للوثة فيها سهام غير مخطئة من ثالة اليوم سهم لم يفته غدا فهذا تشخيص جميل للوثة جعل له سهاما صائبة ان عاجلا وان آجلا . ثم هو يدعو دعوة مريحة الى الزهد فيقول :
ما ضر من عرف الدنيا وغرتها الا ينال فيها اعلاها ابدا
وكانه يحاول ان يبقى شكل القبر مثلا في شعره لكي يدعو الانسان الى التخفيف من ذلك الغرور الذي يسيطر عليه في حياته الدنيا :

انسيت القصور اذا نسيت فيها انسيبت القسراق لالواد
ويجعل الانسان في قبره قبل ان يموت وذلك لادخال الرهبة عليه والشعارة بالوحشة والفرع ثم يصور طمع الانسان واتباله على الدنيا في ابيات قليلة مؤثرة :

نسكت بآمال طموال بعد آمال
واقبلت على الدنيا بعزم اي اقبال
نيسا هذا تجمد قسراق الامل والمال

وفي هذا يقول مصعب بن عبد الله : ابو العتاهية اشعر الناس ذلك لان هذا الكلام (سهل حق ، لا حشو فيه ولا نقصان . يعرفه العاقل ويتر به الجاهل) .

ولو ذهبت ابحت طويلا في شعر هذا الزاهد عن امثال تلك الابيات لاضايت المقام عن سرد ما اجده ، ولكنني اكتفي بهذا القدر ، ويمكنني ان اقول بعد ذلك ان ابا العتاهية في غالب الابور لم يكن ليأتي بمعان جديدة لا يعرفها الناس كما سبق ان اوضحت ، وذلك لان معانيه قد اغترفت من البيئة التي عاش فيها والمجتمع الذي تنقلب بين ارجائه . ولكن تفرد في الزهد كان جديدا على الشعر العربي الذي لم يسبق لاحد من شعرائه ان جعل الزهد غرضا اسلميا بين اغراضه الشعرية فضلا عن ان يفرده في ديوانا كاملا . ولذا فان كثيرا من المعاني الزهدية لم تأت في شعر شاعر كما انت في ديوان ابي العتاهية .

قلت في اول حديثي عن المعاني بان الصورة كانت قليلة عند ابي العتاهية ، هذا بينما كان الشاعر الجاهلي يجعل التشبيه دعامة الاساسية في التعبير ، وكان التشبيه عنده جيلا دقيقا تبدو عليه علامات المهارة في الصنعة وفي ابراز الصورة وتوضيحها . فهذا امرؤ القيس يقول :

نظرت ليلها والنجوم كناسها بصايح رهبان تشب لقلال
ويقول :

يكر بمر مقبل دببر مما كجلود صخر حطه البطل من عل
ويقول ذو الرمة :

ودوبة بطل السباد اعتنقها وقد صبغ القليل الحمى بسواد

كما استخدم العتاهية ايضا المجاز والتشبيه القصصي المحلول .

اما ابو العتاهية فقد خالف الشعراء الذين سبقوه والذين عاصروه ، اذ قلت لديه عناصر الصورة وتضاعلت وان لم تنفذ تماما . رأى مرة القبور تغتيل قبره بينها وقال :
وعنك اجداث صمت وعنك السنة خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى وعن صور سبت
وارنك تبرك في القبور وانت حتى لم تبست

فذلك ابيات جعلتنا نقت امام القبور ونسمع الاجداث نعلنا من غير ان يستعين الشاعر فيها بأي وسيلة من وسائل ايراد الصورة . وليس هذا دأبه دائما لانه ربما اورد لنا الصور المتحركة في شعره كما في قوله :

بسطرب الفوق والرجاء اذا حرك بوسى القصب او نكر

الا انه ما كان ليعمد الى شيء من هذا القليل عمدا ، وانما يتركه للطبع والسليقة فقط دون ان يعاني اي جهد في ذلك السبيل . فهو اذا قال : (احمد الله على كل حال) لن يتبادر الى ذهن احد انه اراد شعرا ولكنه كما يروى عنه لو اراد ان يصوغ كلامه كله شعرا لفعل . واذا غلستيم بعد ذلك الحد الذي اطلقه الى شعره المرسل السهل الذي يتضمن شيئا من التشبيه :

احمد الله على كل حال انسا الدنيا كسرى المظلال
انسا الدنيا مشاخ تركب يسرع الصب بشد الرمال

ونحنى بان تشبيهات ابي العتاهية لم تكن تخرج عن مستوى الكلام العامي العادي الذي ينقله الناس فيما بينهم . فهو حين يقول :

ما نحن الا كركب فيه سخر يوما الى نسل فيه نمة افترقا
لا يكاد يخرج عما قاله كل فرد من الناس منذ ان لاحظوا انه لا بقاء لاحد في هذا الوجود ولا استمرار لحياة اي انسان . ولكنه مع هذا كله يأتي بأشياء جميلة توقظ الاحساس وتنبه الشعور كما في قوله :

وبخت غرك بالعسى فاندنه بصرا وانت محسن لمباكا
كفيلة المصباح تحرق لنفسها ونمر واقدها وانت كلاككا
وكذلك حين يقول :

الباطل الدهر يلقى لا شياء له والحق بلج فيه الصور ياتلق
ملى يضل حريص دائب ابدا والحرص داء له تحت الحشا تلق
يا من بنى القصر في الدنيا وشيده اسبت فصر كحيث السيل والفرق
لا تغفلن فان الدار فانية وشريها غصص او صوفها رنق
والمرت حوض كبره انت وارده فاقطر لنفسك قبل الموت يا ملق
يلى الشباب وبقي التشيب نضرت كما تساقط عن عيادها الورق

الا نرى ان هذه الابيات رائعة جدا وجميلة جدا : فذلك هو الباطل مظلم قائم ، وهذا هو الحق يتلأل في ارجائه النور ، ولكن الحريص سائر ساء لان داء الحرص قد تغفلت تحت احشائه . ثم نسل الى روعة المشهد وتأثيره انها قصور الدنيا الزائلة ، تصور بنيت حيث السيل

والفرق .. ثم تلقت الى البيت الاخير لئرى الشباب يزول
ويأبل كما تتساقط الأوراق عن اشجارها . انها لوحة
غنية رائعة اوردها الشاعر بأسلوبه السهل المتعلق فكانت
لديه السهولة المجتمعة حقا .

تلك هي لحات موجزة عن الصورة عند أبي العتاهية
كما انتزعها من واقع الحياة وعكس بواسطتها خياله وما
كان يحسه .

اما الالفاظ ، فكلنا يعرف كيف كانت الفاظ الشعر
قديميا قوية جزلة مختارة منذ الجاهلية وصدر الإسلام حتى
العصر العباسي . وإذا كان يشار قد مال الى سهولة اللفظ
في بعض اشعاره الغزلية كما في قوله :

وكان رجس حبيبنا قطع الراس كس زهرا
وكان نعت لسقمها هارون نعت فيه صبرا

فانه ما كان ليخرج من سنة المتقدمين في مدائحه التي ينقرب
فيها الى الخلفاء والأمراء ، وكذلك في غالبية اشعاره .
فها هوذا يهجو العباس بن محمد :

ظل اليسار على العباس مدود وقلبه ابدا باليفضل معبود
ان الكريم ليفي عنك عبرته حتى سراء غنيا وهو محبوب

ويقول في وصف معركة :

كان مثار القمع فوق رؤوسنا واساننا قبل نهاري كواكب

ومثل هذه الجزالة التي صالفاها عند يشار بكرة والتي
تصادفها ايضا عند أبي نواس الى حد كبير . بل وتوقعا
على نظائرها لدى أبي العتاهية ، إذ كان غالبا يميل الى
سهولة اللفظ ، بل الى عاميته ، ولعل ان ياتي قصيدته
مختارة الالفاظ . حتى لكانه يبسط شعره للعامة لكي يفراه
هؤلاء ويتداولوه . وكأنه به لا يجهد نفسه مطلقا في قول
الشعر وانما تاتي الأفكار فيصوغها بقوالب بسيطة والفاظ
سهلة يفهمها كل أحد ، وان كان ذلك ليس مضطردا دائما .
فهذا أبو علي القائي صاحب « الامالي » يروي لأبي العتاهية
أبياتنا في الزهد يظهر عليها الجمال والجزالة الى حد غير
قليل ، ويتلأ أنه شهود واقفا في طرف المتأبر وهو ينشد :

نلتس في الدنيا ونحن نصيبها وقد حزننا لمعري خطوبها
وما نصب الأيام نقص مدة بلى انها فينا سريع ديبها
كأنى رمضى يملكون جنزلى الى خسرة بشى على كتيبها
نقم نم من سمرج متوج ونلحقة يعلو على نعيمها
وباكسة نيكى على واتسى لى غلقة من صونها ما اجيبها

ولقد رأينا شيئا من تصيدته التي مدح بها الرشيد والتي
مطلعا : (جرى لك من هارون بالسعد طائر) ، والجزالة
واضحة في هذه القصيدة ايضا حتى انها لتحكي أسلوب
البحراني المتأخر عن زمن شاعرنا ، وتوازي جزالة لفظه
ورونق أسلوبه .

وإذا كان لسهولة لفظ أبي العتاهية فضيلة تعود
عليه بالخير إذ تبيل العامة والمولعون بالسهولة الى

اشعاره ، فإن لها اثرا سينا عليه ايضا ، إذ ان النقاد
الذين يغضلون اللفظ على المعنى في الانتاج الأدبي أو الذين
يوازنون بينهما لم تكن اشعاره مما ينال أعجابهم ذلك اننا
حين نقرأها لا نجد فيها قوة ولا ملاحه حتى اذا اخذنا
نتفكر في المعنى الذي اراده الشاعر وجدناه جبيلا مقبولا .

وهكذا نجد شاعرنا قد جدد في الفاظ الشعر ومعانيه
وطور صوره ، فأدخل في زهدياته المعاني الزهدية الجديدة
على عالم الشعر ، ومال باللفظ الى البساطة والقرب ،
واقصد في الصورة فلم يأت بها الا الى حد ، وكان اذا
اوردها اغترفها من واقع الحياة حوله دون أي محاولة
للتزييف والزخرف . وبذلك يكون قد نزل الى مستوى العامة
لكي يفهم هؤلاء مذهبه في الزهد غيثاروا به ويخف المترون
من غلواء طمعهم في الحياة .

اما الملوك والخامسة الذين تنفك الاشعار لاجلهم
وتختار الجزالة لارضاء أذواقهم عما ابعدهم عن الزهد
— كما كان يقول أبو العتاهية نفسه — ولذا فلن يحاول
أن ينسق شعره وفق أهوائهم ، بل وفق أهواء الشعب
الذي اثبتت عنه وعاش بين أحضانه ولم يرغب في الارتفاع
عن مضيقه لا بشعره ولا بشخصه .

ولم يكن اتجاهه هذا ليحط من تقيته المعنوية عند
الجميع ، فظل بعض الخلفاء ممن يحبون أن توجه اليهم
التصالح ، فيضلون أبا العتاهية على كل من عاصره من
الشعراء كما فعل الرشيد . وهكذا فإن تواضع هذا
الشاعر ونزوله بالشعر الى مستوى العامة لم ينقص من
تقيته بل زادها علوا وارتفاعا ، فبقي شاعر الزهاد
والمصوفة وشاعر الدنيا كلها الصائرة الى الزوال والفناء .

وعلى هذا غائنا نقتل قول الدكتور محمد نجيب
البهبهني بأن شعر أبي العتاهية شعر معنى ، ولكن الى
حد . فإذا سميناه شاعر المعنى فليس يعني ذلك انه كان
يفغوس على المعاني ويأتي بها جديدة مبتكرة أو غريبة عما
الفه الناس من مفهومات ، ثم يصنع ذلك كله على حسب
اللفظ . بل اننا لو تحرينا حقيقة شعره لما وجدناه شاعر
لفظ ولا شاعر معنى ، وانما هو شاعر الطبع وشاعر
البساطة النفسية التي يمن لها الخاطر فلا تتحرج في أن
تسكب بأي القوالب اللغوية شامت ولو كانت سوقية ،
وبأي القوالب الوزنية ولو خرجت على الأوزان المعروفة ،
حتى ولو كان هذا المعنى لا يستحق أن يصبح شعرا .

فهل مثل هذا الشاعر يمكن أن يسمى شاعر معنى ؟
الا وانى لأجد هذه الكلية واسعة جدا بالنسبة اليه ، وهي
كالنوب الضعافى فوق انسان نحيل هزيل . ذلك ان
متنهي القول عندي هو ان شاعرنا لم يكن يبحث عن لفظ
ولا عن معنى وانما كان يصدر عن طبع شعري بسيط
منطلق من روح الشعب ، لا يفكر بالمعاني المبتكرة ولا

بالمصنعة اللغزية ولا البياتية . وذلك هو مبعث التجديد في شعره .

استخدم أبو العتاهية الأوزان الشعرية المعروفة في عصره والتي قديها الخليل للشعراء . وقيل أنه حين سئل هل يجيد العروض قال بأنه أكبر من العروض . ورأيه هذا هو الذي جعله يركب البحر المتدارك — الذي استحدث في عصره — وجاز له أو جوز لنفسه أن يقول :

هم القافسي بيت بطرب قال القافسي لما عوبب

وذلك أن شاعرنا مال إلى الأوزان الخفيفة ، وكان له نصيب من الشعر المزدوج الذي لا يلتزم وحدة الغافية إلا في صدر البيت وعجزه ، وقد سبته الوليد بن يزيد إلى هذا الفن في مزدوجه التي منها :

الحمد لله وليس الحمد احمد في يسرنا والحمد وهو الذي من الكرب استعين وهو الذي ليس له قرين

أما المزدوجة التي صنعها أبو العتاهية فقد سميت ذات الأمثال وقيل أنها طويلة جدا وأن ما وصلنا منها ليس إلا أطلها . ومن أبياتها المشهورة :

هسي القافير فليس أو فذر أن كنت أخطأت فما أخطأ القدر
لا تنطق الشمس ولا تغيب إلا لأمر شانه عجب
إن التيباب والفسراق والجود يفسد للقل أي مفسدة
إن التيباب حجة القمابي روائع الحنة في التيباب
وهذا البيت الآخر كان موضع إعجاب الكثيرين .

وكان شاعرنا قصد أن ينظم كل ما يخطر في بباله من هواجس وأفكار شعرا يرددها الناس في أبسط عبارة وأخف وزن ، فكثر لديه الأوزان القصيرة ، وقلت القصائد التي ترجع إلى الأوزان الطويلة في ديوانه . ولذا غائنا نستطيع أن نعد هذا النهج الذي انتهجه لنفسه في الأوزان نهجا جديدا . إلا أنه لم يأت بصورة اعتباطية إنما أتى متجاوليا مع الأحداث والتطور لمعاصروه فلم ينزل كلهم أخذوا ينظمون شعرهم وفق الإبحر القصيرة ، وذلك خلافا لما عهدناه من نفس الشاعر الجاهلي الطويل الذي يكثر في شعره من التنسيلات والحدود والحركات الطويلة .

وإذا كان الدكتور شوقي سيف قد علل مسألة شيوع الأوزان الخفيفة في ذلك العصر بانتشار الغناء وازدهاره ، فبماذا نملئ نحن هذه الثغرة في شعر أبي العتاهية الذي لم ينظمه لأجل الغناء والطرب ، وهل نستطيع أن نقول أنه سلكه في تلك الأوزان ليجعل تناول العامة له سهلا ، أو ليرده الزهاد في حلقات الذكر — أن كانت هنالك حلقات ذكر في عصره كما هو الحال عندنا الآن في بعض المجتمعات — ؟ أم أن الشاعر مال مع طبعه فصار وفق ما توجهه نفسيته ويتوقده ذوقه وأصلسه ؟ مهما يكن من

أمر فإن أبا العتاهية قد جدد في الأوزان الشعرية أو بعبارة أدق طور تلك الأوزان وفقا لمتعضيات عصره وتجاوليا مع أصداء نفسه ومجتمعه . وكان له لون عجيب من الشعر تتصل فيه الأبيات أصلا يجعلها تتساند وتتأخذ حتى تشبه الحديث المادي وذلك كله ما يكن شائعا ولا متداوليا قبله .

أما بقاء القصيدة العربية العلم فلا حاجة للمساهب في تعريفه ذلك أننا نعرف عهود الشعر القديم وكيف كانت القصيدة الجاهلية تبدأ بالوقوف على الإطلال وذكر ديار الأجيال . ثم بعد ذلك تنتقل إلى الغرض الأساسي منها أيمحا كان أم اعتذارا أم رثاء أم هجاء . . ولقد أخذت تلك المقدمات تتساقط ويحوى منها الزمن ويختزلها الدهر بين الجاهلية والفترة التي عاش فيها شاعرنا . إلا أنه لا يمكننا القول بأن تلك المقدمات كانت قد زالت تماما . وذلك لأننا نجدنا بصورة موجزة غايتها التقليد عند شعراء عاصروا أبا العتاهية كابن نواس وبيشور .

فأبو نواس ابتدأ بمضى مدائحه ، ولا أتول كلها ،
بذكر الإطلال وأكثر الديار . ومن ذلك مطلع قصيدة قالها في مدح الرشيد :

لقد طال لي رسم الديار بكائي وقد طال ترددي بها وغنائي
كأن مروع في التيسار طريدة أراها أمامي مرة وورائي

وقصيدة أخرى مدح بها الأمين :
يا دار ما طعت بك الأسماء شامتك والإيام ليس نسام

وخالصة مدح بها الفضل بن يحيى البرمكي :
أربع البس أن الخضوع لبدك عليك واتي لم أهلك ودادي

وكذلك كان يفعل بشار وإن كان أكثر من أبي نواس ولو عا
يوصف طريق الرحلة وما يصادفه فيه . وقد حاول حتى في
أرجوزته الدالية أن يذكر الإطلال ويصف الطريق قبل أن
يصل إلى المديح وكان مطلعها :

يا طفل الحصى بذات الصبد ياك حدث كيف تمت بعدي

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الوقوف على الإطلال ظل ماثلا في القصيدة العربية بشكله التقليدي حتى عصر أبي تمام والبحري والمنجي أيضا ، كما حاول السير على منهجه البارودي شاعر العصر الحديث .

أما أبو العتاهية فإن ذكر الإطلال كاد يقتصد من شعره ، وكل ما كان يهدد لغرضه بنوع من الغزل البارد — كما قال القدماء — وأكثر ما كان يفعل أنه يياشر ما يريد من قول دون تقديم ولا سوابق . وإذا حاول مرة أن يطرق هذا الباب من الشعر جاء عمله الفني خاليا من التوفيق ، وخصوصا حين يخضع الإطلال لأوزانه القصيرة الخفيفة ومعانيه الزهيدة فيستبدل القوم الذين كان يفارقه

الشاعر الجاهلي بسبب رحلة القبائل العربية وتنقلها الدائم ، يستبدلهم أبو العنابية يقوم بادوا وغنوا واهلكهم الدهر . وشتان بين الموقنين ! بين رجل يقف على ظل ويذكر اهله الذين رحلوا عنه وبين رجل يقف على جدث يبكيه ويناجيه . فنحن نرى في هذه الابيات :

لمن ظل اسالته	معلقة بنزله
عذرة رايته تسمى	اماليه اسالته
وكنت اراه ماهولا	ولكن بصاد اعلمه

نرى ان مشهد الاطلال والتبور قد اخطط على الشاعر حتى بدا غريبا من نوعه لم يسبقه احد اليه ولم يتابعه متأخر عليه . لان الاطلال والاداجات حقيقتان متغايرتان وليس من الذوق ابدا ان يخطئ انسان بينهما .

وربما حاول ابتداء مدائحہ بالغزل ثم اشار بصورة خاملة الى الاطلال كما في قوله :

الا ما سيدنى ما لها ادلت فاجمل الالها
والا تبسم تجت وما جئت سقى الله الالها

ومعروف ان صاحبة ابي العنابية المقيمة على ضفاف دجلة ليست بحاجة الى ان يدعو لاطلالها بالسقيا ، ولكنها محاولة من الشاعر للتقليد ! ! . وزهديات الشاعر وطريقته تنافي الاساليب التقليدية ولذا فان اكثر محاولاته في هذا المجال — حين توجد — لا تكاد تملو عن هذا المستوى . واكثر اشعاره قد خلا من كل تقديمة ، كما بينت ، ولما فانا يمكن ان نعد هذا السلوك من قبل التجديد والخروج على القديم . ولكن الحق كل الحق مع الشاعر حين اطلع من مثل ذلك النوع من الشعر ، ان اشعاره لم تكن من النوع الماتني الذي يبذل صاحبه من اجله وقتا وجهدا طويلا . وزهدياته لا تحتل هذا اللون من الشعر ، ولذا فقد غاب من ديوانه شعر الاطلال او كاد يغيب .

وهكذا نرى اخيرا ان هذا الشاعر قد جدد في اغراض الشعر ومعانيه وصوره والفاظه واوزانه ، وفي بناء القصيدة العربية .

ونجد بذلك ان ابا نواس ثار على القديم ولكنه قلده في كثير من الاحيان . اما ابو العنابية فانه لم يطن ثورته على ذلك القديم كما انه لم يحاول التثبيت بأساليبه ، بل سلك الطريق التي هيأتها له طبيعته . وان كان ناعج حين نرى له انصارا يعدونه اشعر الشعراء ، بل اشعر الجن والانس — على حد قولهم — وان كان لا بد ان نلاحظ ان مثل هذا اللقب كان مطاوعا وواسعا جدا حتى انه استطاع ان يظل غالبية الشعراء المشهورين منذ الجاهلية وحتى العصور العباسية المتأخرة ، فلا تكاد نجد شاعرا الا وقد اطلق عليه بعضهم لقب : اشعر الشعراء . ولكن

في المسألة هذا عند ابي العنابية امر اهم من ذلك لان بعضهم قال عنه (انه اشعر الجن والانس) ! فما مصدر هذه التسمية وما هو الدافع اليها ؟ هل لانه جدد في كل ما ذكرناه من قبل ؟ .

اطن ان ذلك من الايغال في المبالغات . والخروج على الحق ، اذ لم يكن ابو العنابية بكل هذه الميزة الا عند اشخاص كانوا شديدي اللاؤم مع الموضوعات التي طرقتها والخطا التي سلكتها . وذلك ان للناس اذواقا في تقبل الشعر وتذوقه تختلف درجاتها ، فبعضهم لا يرى ان يسمى ابو العنابية شاعرا فضلا عن ان يكون اشعر الناس . وقد يكون هؤلاء ممن اولعوا بهجاء اللفظ الشعري ومحسناته المختلفة التي كانت تنتقد عند هذا الشاعر .

ونحن لن نستغرب احكام القديما وتفاوتها بتفاوت اذواقهم ، لان لنا امثلة عنها في عصرنا الحاضر ، فنشوق مثلا قد يبيع بأمانة الشعر ، ومع ذلك فان المقداد — رحمه الله — من عليه مرة بلقب شاعر ، فكيف بان يكون امير الشعراء .

واختلاف الناس في اذواقهم الشعرية امر طبيعي يشبه الى حد غير قليل اختلاف تلك الاذواق بالنسبة للاطعمة والالوان . والشئ الذي يشتهر بحسنه وروعته هو الذي يلائم اذواق اكبر عدد ممكن من البشر . واذا ذهنا ننقضي الكمية ربما حصلنا على اقلية ساحقة نفعل ابا العنابية ، وذلك ان شعره لأم العامة وبعضها من الخاصة . والخاصة كلهم لا يضارعون بعددهم العامة . ولكن لكل من خبراءه .

والحق كل الحق ان ابا العنابية شاعر غنى احساناته بالفاظ بسيطة لا كلفة فيها فاستجاب له البعض واعجبوا به ، كما اذراه البعض الآخر ولم يلام مع اشعاره . والشعر خاص بنفسية صاحبه ، ولا يمكن ان يعجب ناقد او متذوق بشعر شاعر الا اذا تمكن من ان يتصور الطرف الذي قيل فيه ذلك الشعر ، وان يمارس التجربة التي مارسها الشاعر ان حقيقة وان خيالا . وسبقنا احكام الناس على الشعراء متفاوتة بتفاوت نظرتهم ، مختلفة باختلاف اذواقهم . ولقد جدد ابو العنابية في الشعر ، ويبدو ان تلك النواحي التجديدية انها آتت من قبل علميته ونشأته التواشعة ، فحبذا الشعراء الذين ينبئون من الشعب لمكبسوا حياته ويغنوا لمشاعره ويجعدوا الفن الشعري وفق اهوائه ومتطلباته .

الشاعر الياس فرحات

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

- ولد في كفرشيبا (لبنان) سنة ١٨٩٣
- توفي بالبرازيل سنة ١٩٧٦
- هاجر الى البرازيل سنة ١٩١٠
- أصدر مجلة (الجديد) مع توفيق ضمون .
- أصدر رباعياته سنة ١٩٢٥
- أصدر ديوان فرحات سنة ١٩٣٢
- أسس مع رفاته (العصبة الاندلسية)
- أصدر ديوان (الربيع) و (الصيف) و (الخريف) سنة ١٩٥٤
- نشر (عودة الغائب) سنة ١٩٦٤
- نشر (قال الراوي) سنة ١٩٦٥
- نشر (مواكه رجعية) سنة ١٩٦٧
- سينشر ديوانه (الشتاء) عما قريب .

يحظى الادب المهجري في النفوس مكانة طيبة عالية ، لما له من ذاتية ادبية متميزة . استطاع بها ان يسهم في احياء حركة الادب العربي في المهجر الأمريكية وغيرها . وبفضل الطلائع المتوثة من ابناء العروبة هناك . نفخ الشعر العربي عنه غبار الماضي السحيق ، الذي كان عالقاً في جوه شعر ايام نكبة العرب بجيوش الفزاة الفاتحين ، بعد سقوط بغداد وزحف البرابرة المحوطين . ان حركة الادب المهجري ، هي حركة نبادة هزت بفتحات عنادها المهاجرة نفوس ابناء الادب العربي ، واستطاعت ان تحدث شجة في اوساط المحافظين ، في جوانب القاهرة ، وبغداد ، وبيروت ، ودمشق . وتصدى لها يومذاك طه حسين ، والرافعي ، والزيات ، والعتاد . ولكنهم بعد ذلك بسنين اعترفوا بريادتها وقيمتها واثرها الفني ، وتجديدها الفكري . وكانوا يميون على المهجرين الشماليين خصوصاً ، بعدمهم من قواعد اللغة العربية ، وانطلاقهم من قيودها ، واعراض اشعارها .

وليس هناك من حجة قوية عند الخصوم تثبت امام سيل الادب المهجري الهادر . الذي ايده الناقد الدكتور محمد منظور .

اما ابناء الجنوب في امريكا اللاتينية . فان السهام الناقدة قد قللت من تريشها نحوهم . فرددت اندية القاهرة ، وجوانب الازهر اشعارهم .

اما العراق — فكان السباق — دون غرر وادعاء ، بتلقي اشعار المهجرين ونشر بعض دواوينهم ، والدعوة لتجديدهم ، ومعارضة اشعارهم .

ومن بين هؤلاء النوايغ الشاعر المهجري (الياس حبيب فرحات) ١٨٩٣ — ١٩٧٦ الذي سميت به هيمته من الامة والجهالة الى ذروة النوادي والمقابر والمجالس .

وتقدر له ان يتعلم القراءة والكتابة ، ثم ينظم الشعر الزجلي العامي اولاً ، ثم القريض ثانياً . عرفناه اول مرة بقصيدته الشهيرة (خصلة الشعر) التي منها قوله :

خصلة الشعر التي اعطينها عنصا البين دعاني بالقص
ثم ازل انو سطور الحب فيها وسلفها الى اليوم الاقص
وكان من مؤسسي (العصبة الاندلسية) في البرازيل
ومن المستنفا المعبرة عن قوميتها العربية . رغم بؤسه
وشقائه ، ورغم كحكه ونصبه .

كان يترك المدن العابرة ، وينطلق في اجام الغابات
بمجاهل (المازون) وراء لثمة العيش التي مزجت بدهاء
قلبه ، وعرق جبينه ، ونور ناظره .

وكان مثالا للرجل المخاخر بشخصيته المصامية التي
كونها بذاته ، فلا جدود عظام ، ولا نسب شامخ ولا اسرة
غنية . وهو ابعد الناس عن التحيز العنصري ، والمعتقد
الطائفي . قال في صدر رباعياته :

فيسا النباقي والارطان نجينا ثم نسل القلب مما فيه من وعر
ما دمت محترما حتى قلت اخي آهنت بالله ام آهنت بالعر
ان الشاعر المهجري الياس فرحات كان من حملة
مشاعل العروبة في المهجر الجنوبي ، ومن الذين وتلوا
ضد خصوصها . ولقد جرت بينه وبين الشاعر فوزي المعلوف
مناظرة شعرية حول البداءة والحضارة . ندد المعلوف فيها
بالبداءة والجاهلية حيث قال :

خسل البسافر ونوبها وبهيمها والجاملية رحمها وحسابها
فعارضه فرحات بقوله :

هي البداءة نوبها وبهيمها والجاملية رحمها وحسابها
اولا القصور المنيعة في القصر ما كانت الانسان ترنع هلمبا
ومن خصائص هذا الشاعر العربي انه كان ابعد
الشعراء عن موائد المناسبات والتهاني والتعازي والامداد .
وهو في طليعة الشعراء المهجرين الذين صوروا حياة
الهجرة الشاقة ، وغربة الوطن ، ووحشة المسالك ،
وشظف العيش .

قال من قصيدته الرائعة (حياة مشقت) :

اغرب خلف الرزل وهو شرق واقسم لو شرفت كسان بغرب
وتشرب مما تشرب الخيل نارة وطورا تعاف الخيل ما نحن تشرب
حياة مشقت ولكن ليهدم عن السلل نضو لاي و تعتب
سألوه مرة كيف درست الشعر ، ونظمت القريض ،
وأنت لم تتعلم بكلية او جامعة ، او في مدرسة عالية او
معهد فقال :

يقولون : عين اخذت القريض ومن تعلمت نظم الدرر
واين درست العروس وكيف تلتقت بهذا البيان الاسر
وما تكثر يوما بطالب علم قال عرفتك منذ الصغر
فكان جوابه الرائع قوله :

نقلت : اخذت القريض صيها من الطير وهي تنفس السحر
وعن ظفرت عليل الصبيح يمر فينفس عليل البشر
وعن شحكات صياح الجداول يسوق الجلاجل تحت الشجر
وعن زفراء الحب الالبيب يرامو القوسر المختصر
وعن نظرات الحصان القوانبي يكدن بقلقلها في الحجر
وعن عبرات العزاني السعالي نفس عبرات العزاني عبر

ثم يجيب عن دراسة المعاهد والجامعات بقوله :

لئن كنت لم ادخل المدارس صفرا ولا بعد هذا الكبير
نذا الكون جامعة الجامعات وذا الدهر استاذاها العنبر
نفس الميكات بيان جليل وفي الفحركات مكان غرر
وفي كل ما يصير المجرور درس شار بهمن الفكر
من يصي يوما ولا يستفيد اعشى البصرة اعشى النصر
اما مشاعره نحو العراق وابناء الراشدين فهي مشاعر
نبيلة طيبة حورب من اجلها ، وكاد ان يموت برصاص
خصوم العروبة يوم ان كانت غيوم الاستعمار تخيم على
العالم العربي . وجيوشه تحتل تربته المقدسة . فغال من
تصيدة (شباب العراق) :

قد اضاع الحق في الغرب دروبه
فأرانا تغلب الغرب نيوبه
وثبة تمتش آمال العروبه
وتزبل الحيف عنا وكروبه
هكذا تغفر للدهر ذنوبه

وكان مطلعا على باءدها مجموعة دواوينه التالية :

١ - الربيع - الذي اصدره في سان باولو البرازيل
سنة ١٩٥٤ وقال في مقدمته :

هذا الريع نالته بترنسا والقس ترحل في ربيع صيفها
فألا بلغت شهابها حدلكم عن صيفها وغربها وشالها
٢ - الصيف - الذي اصدره في سان باولو سنة
١٩٥٤ وقال في مقدمته :

يا صيف الضجت منى مسا كان يالاس فيها
فياكلك اليوم شهداء من ذاني يالاسي حيا
٣ - الخريف - الذي اصدره في سان باولو سنة
١٩٥٤ وقال في مقدمته :

نمشي خريف الدهر في عبر دوهني ولم يبق بها الربيع نعا لصاير
وعبا قيل يبلغ اليبس حده فغسط عليها غاب مفتي القابر
٤ - الرباعيات - التي صدرت في سان باولو سنة
١٩٥٤ وقال منها :

عجت لمن يطوي لياليه ساهرا ينش عن مضى غريب فبقاه
فيلته شعرا ولا غرق عنده اذا ما اهتدى قراؤه فيه او تاهوا
الا ان خير الشعر ما ساغ لفظه وما كان مما يسبق اللفظ معناه
اذا جاني المعنى الغريب فبرحا وان لم يجي لا رد غريته انه
٥ - احلام الراعي - الذي صدر في سان باولو
سنة ١٩٥٣ جاء منه قوله :

والجوع ما دام سلكنا الم سان نضرك فانه غسب
اذا استحال الاتين زمرجة ناسقت من سماتها الشب
ونسوة اليجالين ان نشيت نكل نصر قارها حطب
عليك خوي وليس منك فلا تنفج رمادا رواه لبيب
وتلك امينتي لديك غان فحككت منى عليك انتصب
صور لنا (فرحات) في تصيدته (رثاء لبليل) قصة
حياته المكافحة . وايام عمره المكثورة فغال ولعله يعني

اهم المراجع عنه :

- (١) دواوين الشاعر - الياس فرحات .
- (٢) الياس فرحات شاعر العروبة في المهجر - لتقائوري .
- (٣) شعر من المهجر - محمد قره علي .
- (٤) اشعار وشعراء من المهجر - محمد عبد الفتى حسن .
- (٥) جريدة الجمهورية - (بغداد) - عرب المهجر وقضايا المهجر
القمي ١٩٧٧/١٩

نفسه عن لسان ذلك العرود الصيداح :

كتاب حياة الياسين طويل
قضى الليل العرود والقاتس حوله
قضى شاعر يرتي له كل شاعر
هيوتني حياة لا سرور بالاسي وسين غندي شهرة وخول
وداد بنى الفنيا مراب لظاقي
اذا انت لم تحتج اليهم تكلم
ول قصير الناع من الفضل والذى
وما العمر الا دمية وانشابة
وختمها بقوله :

ولو انهم غلوه خفت فظوهم وكان لهم للاعذار سجيل
ولكن لهم عنه بشكواه منهم ويظهر بشكوى العفري جهول
ويخاطب ابناء وطنه ، واخوان مهجرة فيقول مصورا
حياته ، وحياة اطفاله ، وكأنه قد رسم لوحة من الواح
الشاعر الفرنسي (فيكتور هوجو) في روايته (اليوساء)
اذ قال شاعرنا المهجري :

هنا لكم حول الفوا انجناكم وصاحكم بطوي الليالي بلا زاد
وعندكم الماء القصر بسيله جزانا على وجه القرى وانا صاد
والادام في العوج ندفا جوسهم فما هيكم ان بقل البرد اولادي
نسر على صدي الخولب كتبا بنه لها الايام جبرا على واد
وما شفت بس زرة عريية ولا ادب تاهت به لفة الفصاد
ولا وطن ناه لنا في توابه بقية آباء كرم واجداد
وهو بكل هذه الاحوال تراه ابي النفس ، صابرا على
المكاره ، شيوخا يمزته وابائه . اذ يقول :

اقول نفسي كتبا ضها الاسي فاعلم صبرا نفسي الصبر مكسب
لئن كان صديا جلك الهم والذى نعتك من الاناس لا شك اصعب
فلولا لواء طارج الطبع لم يكن فاني مجسي في البرادي ومذهب
ولا تريخي الاضلال من كل باسم نفسي البسبين المفض القصب
وما جن حقل لا سلاح لرويه واصطف انواع السلاح القالب
انه يدعو الى القوة ، والثورة ، والانفلات من قيود
الذل والخنوع ، ويرى ان استرجاع الحقوق المغصوبة لا
يتأتى بالمسالة والحديث الناعم . بل بالارادة ، والتنضحية ،
والبطولة .

ان الشاعر فرحات كما قال عنه بعض نقاد شعره
في المهجر هو « تلك القطرة من الندى التي ذرقتها مقلة
الفجر على ورقة الورد ، وغادرتها قلقة مترججة وجلة
من ان تقبلها احدى نسيمات الصباح ، او ان تخرها
ابتسالات ذكاء » . واصبحت الحاسة قوية تلبية صلبة
تشغل من تاج الادب العربي المقام السامي ، بتألق نورها
لما يأخذ بالابصار ، ويخيل الالباب .

انني اذ اختم هذه المقالة عن الشاعر الراحل الياس
فرحات . اتبنى مخلصا ان تلثنت وزارة الاعلام الى اخواننا
الادباء والشعراء والصحافيين في المهجر ، فنتقم لهم ندوة
عربية او مؤتمرا قوميا ، يعيد الى نفوسهم الحب الذي
فقدوه في مهاجرهم لتطاول غريتهم ، ويرجع اليهم الاعتزاز
بعروبتهم التي تشن عليهم وسائل الدعاية المخرسة . لكي
تقدمهم احسانا نحوها . ولكي تبعدم عن حضرة
اوطانهم ، وتتصفق فيهم مشاعرهم تجاه اخوتهم في العالم
العربي .

بغداد - كلية الاداب محسن جمال الدين

النانعة فآكرمته وكرمه ، وثورة ١٥ مايو ١٩٧١ التي
حياتها وباركتها في قبوله الحكمة المجرية للناس والايام
والحياة .

أثر الشعر للشعر وأحبه ولحب الجيد منه في جميع
العصور من جميع المذاهب . ومن أي الألوان والإغراض .
محافظا على عمود الشعر العربي ، معترزا بالقيم الفنية
الرفيعة ، في مجاله الإبداع الشعري والعبقرية التعبيرية .
قرا لكل المتقدمين والمتأخرين والعصرين والمعاصرين ،
مؤمنا بروح النثر : نابذا قيود التقليد والالتزام والتبعية .

وحرص الشاعر في شعره على نزعة إنسانية فريدة ،
قواها الحب والامل في سعادة الانسان ، فلاحظ ذلك .
في قصيدته « الايمان » التي كتبها عام ١٩٣٠ ، وقصيدته
(مواج) وقد نظمها عام ١٩٥١ ، وملحقته (عنوان النشيد)
التي نشرت عام ١٩٥١ ايضا ، وقصيدته (النشيد) ، وقد
كتبها عام ١٩٥٢ م . وفيها الدعوة الى الحب والانسانية
والشفافية . وقد اجبل ابو الوفا هذه الفلسفة في بيت
من شعره :

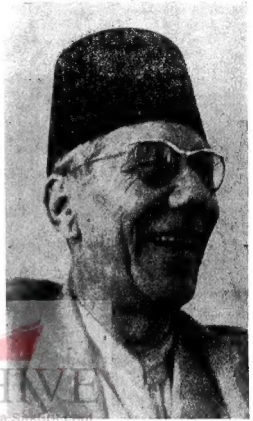
حيث اذا الحب اضلني فمت هوى ان يلكوني قالوا كان انسا

ومن اجل ذلك عرّفه الناس شاعرا غدا نغني قصائده
في غابات البرازيل والارجنتين كما نغني في هضاب الجزيرة
العربية ومغاربها . وتنتهي شهرته الى ديار الشام والى
دنيا العرب من الخليج الى المحيط ، ويترجم شعره الى
الانجليزى والفرنسية والالمانية والاطالية والاسبانية واليونانية،
كل ذلك لانه شاعر القيم الفنية الرفيعة ، وشاعر الموسيقى
الحلوة العذبة ، وشاعر الحب والانسانية والانسان
والداعي الى الاخاء والحرية .

وقد ارتفع الشاعر محمود ابو الوفا على آلامه ،
وصعد بمصابيته وموهبته الى مجال المجودين والمجددين .
ونظم الشعر النفسي والاغنية الانسانية والدينية والقومية
والغزلية التي برز فيها حتى ليعتبر رائدا من روادها ، كما
نظم الشعر الوطني والتأملي وشعره برآة لنفسه وحياته ،
فهو يكشف عن نفسه الحرة المتحررة ، ويعبر بصديق عن
واقعه النفسي .

وابرز سماته الإباء وحرية التفكير وحب الصداقة
— ويدور حول هذه السمات ديوانه « عنوان النشيد » ،
الذي أراد منه بث القوة في النفس ، وتجديد الفهم ونشر
الطموح والاعتداد والدعوة الى وجود انسان جديد سباه
في قصيدته الطويلة « النشيد » : انسان الفصل الخامس .

وفي ملحقته « عنوان النشيد » روح ايجابية صاعدة
جديدة واتجاه موضوعي يشر بالحرية والاختيار والاستعلاء



محمود ابو الوفا

محمود ابو الوفا شاعرا

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

رئيس جامعة الأزهر بـسيوط
وعيد كلية اللغة العربية

مذهب الشاعر في شعره : محمود ابو الوفا علم من اعلام
الشعر المعاصر في مصر والعالم العربي على مدى ثلاثة
اجيال وقد عاش حياته الحافلة ، في ظلال ثلاث نورات
عظيمة : ثورة ١٩١٩ التي غذاهما بشعره النادر في شبابه
الباك ، وثورة يوليو ١٩٥٢ التي لباهما في شيخوخته المثمرة

والنقطة بالانسان ويطاقاته الكائفة المعجبية في الدعوة الى القوة .

ويعتمد في اسلوبه التعبيري على حيوية اللفظ وعلى الموسيقى والعنفية بالصور الجميلة التي تتجلى في طيوح العزة ، والتي تنظر الى الضعفاء حيث لا تقتنر بالقوة .

الشاعر والحياة : والشاعر محمود محمد مصطفى ابو الوفا - وشهرته : محمود ابو الوفا . من مواليد يوليو عام ١٩٠١ - بقرية الانشاسية من قرى مركز لجا قهيلية ، عاش عصاميا يبني نفسه بنفسه ، ودرس علوم العربية والدين في معهد دهباط ، ثم جاء الى القاهرة وتردد على حلقات الازهر وتلذذ على شيوخها ، ولم يلبث ان صار احد خطباء الازهر في ثورة عام ١٩١٩ منذ اكثر من نصف قرن ، وغرغ ابو الوفا للشعر وعاش له .

وسافر في يونيو ١٩٢٢ الى باريس وايطاليا للعلاج بعد ان بترت ساقه وصار يعتمد على عصاه في السير ، وذلك على حساب الحكومة المصرية .

وكرمه الشعراء والادباء في مايو ١٩٣٢ . غاثاوا له حفلا كبيرا ، وكانت لجنة تكريمه مؤلفة من داود بركات رئيس تحرير الاهرام ، احمد زكي باشا شيخ النقابية ، والعمروسي بك اول تقبيل المعلمين ، ابراهيم زكي مدير التعليم بوزارة الاوقاف ، يوسف احمد كبير مفتي الآثار ، فؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف ، الدكتور زكي مبارك ، اليعقوبي شاعر فلسطين ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وتواى سكرتيرية اللجنة الادبية كامل كيلاني ، واشترك امير الشعراء احمد شوقي في حفل تكريمه بقمصيدة جاء فيها :

البليل الفرد الذي هز الرى وشجى الفصون وحرك الاوراق
خلف الهاء على القريض وكلمه فسقى بعذب نسيبه العشا
سبلان غيات البيان جرى بلا ساق ، فكيف اذا اسرد الساق

وكان شوقي قد اوصى بأن لا ينشر شعره بعد وفاته الا بمراجعة وتحقيق محمود ابو الوفا اطمئنانا من هذا الشاعر العظيم الى ذوق ابي الوفا المراهف ، ومقدرته الادبية الفائقة ، وقام الشاعر في الثلاثينات بتأليف اناشيد شعرية لوزارة التربية والتعليم (المعارف آنذاك) ، محررا لباب المكتبة في مجلة المقتطف العتيقة ، كما عمل محققا في القسم الادبي بدار الكتب المصرية ، ومحققا بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، حيث حقق لها بعض كتب التراث .

وكذلك اشرف لشركة مطبعة مصر على ما نشره من كتب التراث والادب في الفترة من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٥٩ .

انتاجه الشعري : ١ - ديوان الحرية (١٩١٩) - مجموعة قصائد وخطب وطنية القيت على الجماهير في الازهر الشريف خلال ثورة ١٩١٩ . وقد طبع ووزع هذا الديوان سرا ٢٠ - انفاس محترقة - طبعة اولى ١٩٢٢ - مطبعة دار الهلال ٣٠ - انفاس محترقة طبعة ثانية مع اضافات

١٩٥٠ - مطبعة مصر ٤٠ - ديوان الاعشاب - ١٩٣٤ - مطبعة الوفاء بالقاهرة ٥٠ - ديوان اشواق - ١٩٤١ - مطبعة مصر ٦٠ - عنوان النشيد - ١٩٥١ - مطبعة مصر - ملحمة شعرية مزوجة بتأمل فلسفي . شرح فيها الشاعر مفاهيمه حول القوة والحياة والدين والايمان والتعليم والسلوك ، والحب ، والنمل والثورة . ٧ - انسان الفصل الخامس - ١٩٥٤ - مطبعة مصر - ينضن هذا الكتاب ملحمة : « عنوان النشيد » وملحمة « النشيد » التي رسم فيها الشاعر شخصية الانسان القادر على الحياة وسط التضادات المختلفة ، والمسامي الى تحلل اعباء الحياة المادية والروحية معا . ليكون دائما هو الانسان خليفة الله في الارض ٨٠ - ديوان شعري - ١٩٦٢ - دار المعارف بمصر - ينضن قصائد في الوطنية والقومية والعزل ، وفلسفة الحياة ، والغفاليات ، الى جانب بعض المسرحيات الشعرية ٩٠ - ديوان شعري - ١٩٧٣ - مطبعة وزارة الاوقاف الاسلامية - وهو مجموعة مختارة من القصائد قدم لها وزير الاوقاف المصرية آنذاك الدكتور عبد الحليم محمود ١٠٠ - مجموعة شعرية - تحت الطبع ١١٠ - ديوان اناشيد دينية - ١٩٢٧ - مطبعة مصر - طبعة اولى ١٢٠ - ديوان اناشيد دينية مع الحانها الموسيقية في طبعين - ١٩٥٤ - مطبعة مصر ١٣ - ديوان اناشيد عسكرية - ١٩٣٩ - مطبعة مصر ١٤ - ديوان اناشيد وطنية - ١٩٥٦ - مطبع دار الكتاب العربي بمصر ١٥٠ - اناشيد للاطفال في موضوعات اختارتها لجنة من وزارة التربية والتعليم ، وطبعته في كتاب المحفوظات المختارة الذي صدر للاستاذين : عباس حسن واحمد عباس ١٩٣٤ .

تحقيق التراث : ١ - ديوان الهذليين - القسم الثاني - ١٩٤٨ - مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠ - ديوان الهذليين - القسم الثالث - ١٩٥٠ - مطبعة دار الكتب المصرية ٣٠ - ديوان الشوقيات - الجزء الثالث - ١٩٣٣ - دار التأليف والترجمة والنشر ٤ - جمال المرأة في القصيدة النيمية - ١٩٢٢ - مطبعة وادي الملوك .

القصص : ١ - قصة ملكة النساء - ١٩٥٠ . ٢ - قصة المصادقة للجميع او التلايذ الثلاثة - ١٩٥٠ .

٣ - هؤلاء ابناي - تحت الطبع ، وهو يمثل فلسفة الشاعر في الحياة من خلال سيرته الذاتية .

مقالات ومحاضرات : ١ - في يناير ١٩٣٥ غاز الشاعر بالجائزة الأولى في مسابقة نظمها الإذاعة المصرية واشترك فيها أكثر من خمسمائة وأربعين شاعرا وأصبح الشاعر بمقتضى هذه المسابقة فخيزا بالقسم الأدبي للإذاعة المصرية (١٩٣٥ - ١٩٤٠) حيث أذاع في تلك الفترة نحو ثلاثين محاضرة في الأدب العربي - كما قدم برنامجا جديدا بعنوان شوارع القاهرة . ٢ - تعريب ومقدمة لرواية الكاتب الفرنسي انتول غرانس وعنوانها : (جريمة سان سلفستر دي بونار) - ١٩٣١ - المطبعة المصرية . ٣ - مقالات أدبية ونقدية نشرت في مجلات : المتكلم - قافلة الزيت - السياسة الأسبوعية وغيرها .

أعمال أخرى : ١ - من مؤسسي رابطة الأدب الجديد - وأحد المؤسسين لجامعة أبولو الشعرية . ٢ - تأملت على ملحمة أنسان الفصل الخامس جمعية دار الرياضة النفسية البنية على أسس نظرية (أنسان الفصل الخامس) عام ١٩٥٥ بمدينة القطم ، وهي جمعية تربية تدعو للتربية الروحية .

وسام : وحصل الشاعر على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى للفنون والعلوم عام ١٩٦٧ .

الحنان : وقد غنى بشعر الشاعر الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وزكريا أحمد ، ورياض التنباطي ، وحلم الرومي ، ومحمد قنديل ، وعزيز عثمان ، والشيخ علي محمود وسواهم . وأغنية (عندما يأتي المساء) مشهورة .

نقاد ودارسون لشعر الشاعر : وقد تناول أعمال

الشاعر بالنقد والدراسة كبار النقاد والباحثين ومن بينهم :

١ - أحمد زكي باشا شيخ العروبة ... راجع مجلة الإخاء

١٩٣٤ . ٢ - د/محمد حسين هيكل باشا (راجع افتتاحية

جريدة البيان التوفيقية ١٩٣٣/٤/٢) . ٣ - د/طه حسين

راجع جريدة الوادي ١٩٣٥ ، وحديث الأربعماء الجزء

الثالث . ٤ - د/ملي الغناتي - راجع البلاغ ١٩٣٥ .

٥ - مصطفى صادق الرافعي - راجع الجزء الثالث من

وحي القلم . ٦ - د/محمد مندور - الحلقة الثالثة من

كتابه الشعر المصري بعد شوقي . ٧ - عباس محمود

العقاد راجع صحيفة الأساس يناير ١٩٥٢ ، ومجلة قافلة

الزيت . ٨ - البشبيشي - راجع البلاغ عام ١٩٥٧ .

٩ - حسن القاياتي - معبرة أبو الوفا - الأهرام ١٩٣٢ .

١٠ - د/أحمد زكي أبو شادي في مقالات عدة نشرها في

مختلف الجلات . ١١ - إبراهيم عبد القدر المازني -

البلاغ ١٩٣٦ . ١٢ - مؤاد صروف - رئيس تحرير

المتكلم - وهو الذي قدم الطبعة الأولى من ديوان الشاعر

(أنفاس محترقة) ، عام ١٩٣٢ . ١٣ - مصطفى عبد

اللطيف السحرتي في كتابه (شعراء مجنون) .

١٤ - د/محمد عبد النعم خفاجي في كتابه (الشعر العربي

الحديث ومدارسه) . ١٥ - د/شوقي ضيف في كتابه

(دراسلت في الأدب العربي المعاصر في مصر) .

١٦ - د/أحمد الشايب . ١٧ - د/باهر حسن فهمي .

١٨ - الأستاذ سيد قطب - الأهرام - مجلة الفكر المصرية

١٩٣٤ . ١٩ - الأستاذ كامل كيلاني . ٢٠ - الأستاذ

كامل الشناوي . ٢١ - وبع غلستان في مجلة الأديب

البيروتية (عدد ١٩٥٢/٦/٢١) . ٢٢ - الأديب العراقي

وحيد الدين بهاء الدين في كتابه (شخصيات معاصرة) .

٢٣ - الأستاذ شوقي أمين . ٢٤ - الأستاذ عباس خضر .

٢٥ - الأستاذ محمد زكي عبد القادر . ٢٦ - الأديب سليم

مصري - جريدة الوادي . ٢٧ - الأستاذ أحمد أبو العز

سكرتير أمير الشعراء في كتابه (أنا عشر عاما في صحبة

أمير الشعراء أحمد شوقي) . ٢٨ - أحمد زبون في كتابه

أنسان الفصل الخامس . ٢٩ - إبراهيم العريس من أدباء

وشعراء ونقاد البحرين . ٣٠ - الشاعر المهجري ميخائيل

نعميه . ٣١ - المستشرق الانجليزي آربري .

٣٢ - المستشرق الاسباني د. خوان وتنيه في كتابه

(الأدب العربي) . ٣٣ - المستشرق المجري د. عبد الكريم

جرماتوش . ٣٤ - المستشرق الفرنسي لويز ماكيزرن في

مجلة الأبحاث الإسلامية بباريس . ويشيق المقام هنا عن

الاستشهاد بأراء كل من هؤلاء في الشاعر محمود أبو الوفا

ومنزلة الرغبة في الشعر العربي الحديث .

شعراء كرموا الشاعر بشعرهم : ١ - أمير الشعراء

أحمد شوقي في تصديده في الشاعر التتيت في مهرجان رابطة

الأدب الجديد لتكريم أبي الوفا في عام ١٩٢٢ .

٢ - الشاعر الكبير محمد عبد الفني حسن - تصيدة

له في الشاعر منشورة في ديوان (سائر على العرب) .

٣ - الشاعر الكبير محمد الماخي - تصيدة له

منشورة في ديوان الماخي .

٤ - الشاعر الكبير جورج صيدح - تصيدة له في

أبي الوفا - نشرت في مجلة المعالم العربي التي تصدر

باللارنتين في ١٩٦٨/٥/٨ .

هذا هو أبو الوفا الشاعر في حياته وشعره وشاعريته

وتراته الفني وتاريخه .

والى مقام آخر لندرس جوانب شاعريته بالتفصيل .

محمد عبد النعم خفاجي

اصيوط

بالأمس كان الزمان
وكان المصمت الموحى بالضحج
أي سر دفعني إلى مناداك
أيها المغلف بأساطير العشق والخلود

يقولون : جفت الأرض
فجودي بإمطارك أيها الغنية المسافرة
عبر القرون

إمطاراً اصطناعياً تريدون ؟ !
دعوا للغنية حرية أدرانها
شرعوا أبواب العشق والوفاء
لتحنو ونهمر .. وتسيل
نهرًا سملوياً فيه زخم الالتحام الإلهي
الليست الغنية ولادة مخاض الطبيعة ؟

حين تتبادل السماء مع البحر سر الحب
تنبثق الوليدة

تقطعني شهد الاستمرار والبقاء
ليس في الأسيرة الحمراء
ولا في المنيود الورقية
أنما في انصهار الفصول
وتلاهم التقيضين ..
في التفاه علقسين
في لمسة حب
في فيضان حنان
في تصعيد جسدي روحي
يسمو حتى على منبتها الأصلي
البحر والسماء !

أيها الغنية الآتية عبر السديم
إن تخزين عطاك ؟
إن هذه التهيدة ..
المفجرة .. القرحة في الإنق البعيد
من قال : أتى آخر العطاء
أنما سلائي لا يندفع إلا
إلى الأرض التي أحب ..
في حقيقة حببي
في وأحتي القدسية
حيث أقدم طقوسي الشمسية
إلى صنوي الذي لولاه
لما كنت
ولا كان المطر
ولا العطاء

وليعة البحر والسماء

⊙

ليلى السليح

⊙

الكويكب



يلفح الهواء البارد وجهه واتلمه .
 النافذة المعلقة لم تفتح في حمايته من
 البرودة ، لكنه يستشعر السدف
 بداخله . لم يؤذّه جو طويه ، رغم
 احاديث من حوله عن تلجج اطرافهم .
 اشعل لفافة دخان ، وتأمل اصابع يده
 اليسرى الممسكة بعلبة الكبريت ، ما
 زالت يده قادرة على اداء مهمتها .
 جالت في خاطره موضوعات شتى ،
 وكلها لم يبت فيها منذ زمن طويل .
 واليوم ، يعود الى سواهج في اجازة
 قصيرة لا تتعدى اليومين ، وعليه ان
 يحسم الامور حتى يستريح من التلق
 الذي يعانيه . يعود اليوم من سيناء ،
 والدعم الساخن لا يزال يتدفق في
 عروقه . عليه الحرب اشياء كثيرة ،
 لكن الدرس الاكبر الذي استوعبه هو
 حسم الامور .

ان التلق الذي عصف على ربيع
 حياته ، فافسد مزاجه ، قد زال
 وانهى تمايا . لقد صرفته معركة
 العبور عن كسل شيء ، وقضى ان
 يطول زمن الحرب ، واحيانا كان
 يبتنى ان يستشهد ، ففتنته مشاكله
 الخاصة . لكنه بعد ايام من اشتغال
 المعارك ، تناسى هذه المشاكل
 تمايا ، والهاء مدغمه صائد الذبابات
 عن كل شيء . استهواه منظر الدبابة
 المشتعلة . كلما اشعل دبابة هلل
 وكبر ، وتملّق بمدغمه على رمال
 سيناء العطشى .

الرجل المصمم الراس الجالس
 تباته ، بيد يده ، يروجو ان يشاركه
 التدخين ، وتمتد يده السمراء تتناول
 لفافة ، ثم يسرع الى علبة الكبريت ،
 ليشتعل لفافات جيرانه في المقصد ،
 ينث الدخان في راحة . ان يده
 اليسرى على ما يرام ، وليس هناك
 ما يضر .

لم يده يطيق صبرا ، لقد تعلم في
 الجامعة ، تفرج في كلية الحقوق ،
 ورغم هذا تمشاكله ظلت سنوات
 طويلة دون حل . نبيلة ، ابنة عمه ،
 تستحوذ جل اهتمامه . لذا يمتنى
 نفسه بها ؟ .

منذ ست سنوات ، استشهد
 مصطفى . تألم الجميع ، والجرح
 الدفين لم تشفه كل هذه السنين .
 ظلت نبيلة تلف جسمها الرقيق
 بالسواد ، ولم تفارق الطرحة السوداء
 راسها . لقد ما تعلق بعينيها
 السوداوين التجلاوين ، وكان ما
 يربطه بها اعمدة رجاء ، فاذا ما رنت
 اليه بهاتين اللؤلؤتين ، يستشعر
 حلوة الامل ، وروعة اللقاء . لكنها
 ابدا لم تحن على آماله ، وافق عمه
 على زواجه منها ، لكنه بعد ايام
 قال له :

— حين فاتحتها في الزواج ، قالت
 انها عازفة . انها لا ترفض ، لكن
 استشهد مصطفى لا يزال جرحا

جرام دفيئة

بقلم حصني سيد لبيب

سلفنا لم يتدبل بعد ، غاترك للايام
 مداواته .

وهدف عيسه ، وايقن ان الايام
 كتيبة بدوااة الاوجاع ، والزمن خير
 علاج .

تجاذب رفقاء السفر اطراف
 الحديث معه . يتعد ايامه الرجل
 المصمم ، وامرأة تجلبب بجلباب
 اسمر ، ويجتبه شاب في الثلاثين .
 في جمعيتهم اسئلة كثيرة ، ودوا ان
 يعرفوا كل شيء عن المعارك ،



وتفاصيلها . حكى لهم بطولات
 زملائه ، وكيف ارتفعت الراية فوق
 المواقع المحررة .

تمنى ان تجلس نبيلة معه ، وتساله
 عن تفاصيل المعركة ، فيحكى لها من
 بطولات زملائه ، وعن معان
 جديدة . ثم تجهد ملاحه ، ويتقطب
 ما بين الحاجبين ، يفكر ما انتواه .
 ألم يوطد العزم على حسم الامر ؟ .
 وماذا بعد صبر ست سنوات وهو
 يبني النفس ، دون غائدة ؟ . ربما
 لا تريده شريكا لحياتها ، ولعل عزوفها
 عن الزواج ، نوع من الرد المجهذ
 على شيء اسمه الرغضى . فلماذا
 يتشت بها كالطفل ؟ . وميناه
 السوداوان ، نالفتنا امل تشعان
 الفرحة وقت التلاقي . هل يطبق
 البعد عنهما ؟ . يطن في اصابعه صوت
 مقرد ، يؤكد له ان حبه من طرف
 واحد ، وعليه ان يده في سويداء
 قلبه ، ويتلظى بناره ، ويترك نبيلة
 تنلى ارادتها كما تشاء .

والثار ، تلك النجمة النشار التي
 عكرت صفاء حياته . ان اعماله
 يحثونه على الثار لايه . قصة قديمة
 عمرها عشرون عاما . كان وتذاك
 في الخامسة من عمره ، كان طفلا لا
 يعي لمور الحياة . وقتل ابوه نارا
 لقتل اهد افراد عائلة السلاموني .
 نزا - قديم يمتد في اغوار الماضي الى
 عهود غابرة ، وكان اعماله يتحفزون
 للانتقام من القاتل ، لكن المنية
 عالجته ، قضاء الله الذي لا يرد ،
 ولم يجدوا من يطفيه الحريق المنهب
 في صدورهم سوى ابنه الذي لا
 يتعدى سنه العلم الواحد ، وطبعما
 لا يجدر الانتقام من رضيع . ومنذ
 الصغر ، بدوا يرضعونه لبن الثار
 من الوليد المسمى احمد السلاموني ،
 ابن القاتل . وشب حدي عن
 الطوق ، وتعلم ، ودرس مع ابن عمه
 مصطفى في كلية الحقوق ، وتبادعت
 المسافة بين القاهرة وسواهج ،
 فتعايدا على انهاء قصة الثار بين
 العائلتين . تحمس حدي ، ووجد

ان نزاله عن الانتقام سيكون مضرب
مثل في انتهاء عادة قديمة يستهجنها
المنطق .

واليوم ، ماذا انت غافل لتهاء
نداء الثار المحوي في آذانهم ؟ منذ
ست سنوات ، استشهد مصطفى
الذي كان يلازمك كذلك ، وتركت
تعصف بك زوايج القلق ، وتوازع
العنف . الكل من حولك يطالمونك
بالمثار ، وانت تباطل وتسوف ، دون
ان تفصح عن نيتك المسالة . واليوم .
يجدر بك حسم القضية ، وتمان دون
خوف انك لن تقتل احد السلاطوني .
انه لا ذنب له فيما اقترفه ابوه منذ
عشرين عاما .

ويعود طيف نبيلة ، كظم سرمدي .
آن له ان يبقى الى واقعه . يشرده
الذهن الى سنوات الدراسة ، مذكرا
تلك الليلة الشتوية ، كهذه الليلة
تماما ، منذ اكثر من سبع سنوات .
حين باح لمصطفى بأبنته التي طواهرا
بين جوارحه . اعلن له رغبته في
الزواج من نبيلة . تعانقا ، وترآ
الفاخرة ، وامضيا الليل يخططان
للمستقبل . كيف يمهدان للزواج ،
وكيف يفتانح الاب ؟ .

وافقت نبيلة ، ونشأ الظروف ان
ينخرج الإنسان ، ثم يجند مصطفى ،
ويؤجل تجنيد حدي . ونجىء حرب
يونيو ، وانكسار الجيش ، والحزن
الذي غطى قسما وجسه مصر ،
وغلف لياليها بالإنس . استشهد
مصطفى . فتأجل زواجه من نبيلة ،
التي انتحبت بالسواد وعزفت عن
كل شيء ، زهدت في الكلام ، وانطوت
على نفسها ، تلوك حزنها ليل نهار .
وابتهل حدي الى الله كي تلتئم
الجراح ، وتطمئن النفس .

واليوم ، بعد صبر ست سنوات ،
علته الحرب ان يحسم كل اموره ،
ويبدأ حياة جديدة . كيف يرضى بابتة

عنه التي عزفت عنه ؟ . يجب ان
يئذ حبه الجريح ، ويرضى بما كتبه
القدر . ان يذه اليسرى على ما يرام ،
بعمد الجراحة التي اجريت له في
مستشفى اليدان ، لكنه سيجعل منها
سببا ، ويحل نبيلة من اتفاق تم رغم
انها ، او هكذا تبدى له .

وسيعمل للجمع رفضه للانتقام ،
مهما تكن المواقف . حتى لو ادى
ذلك الى موته . لقدمرت عليه احايين
كان يمتنى خلالها شرف الاستشهاد ،
وما ايسره في اتون المعركة ، وزعيق
الموت يصرخ في كل اتجاه ، وبات
ملازما له كظله ، حتى فقد الاحساس
بطعم الموت ، لكثرة ما ترجع
غصصه . كانت عيناه يقطنن على كل
هدف يعاد بلوح من يمين . امد
كسل هذا يتردد في حواجبه العائلة
بقراره ؟ .

يتقب القطار عنده محطة اسبوط .
يتكئ على الجناح للتحجوه .
موقف الوصول ، ولا شك في ان
الرفقة التي ارسلها اول امس تذ
وصلت ، الا انه تأخر عن الموعد

الذي حددته ، ظروف خارجية عن
ارادته . . ولا شك ان ابيه تلقه .
وعمه ، و . . . هل نبيلة تلقه ؟ .

دنا منه الرجل المعمم وسأل عن
حال الاولاد في الجبهة ، فطمأنه خيرا .
ولفتت الرجل الى روجه هابسا :

— اطمئي . . ما دام الجيش
بخير ، يبقى وللنا بخير .

وابشمت الام ابتسامة ارتياح .

بدأ يشغل نفسه بسباع احوال
الدنيا من الرجل المعمم الرأس ، حتى
وصل القطار الى سوهاج . فظهر
نازلا ، تحتضنه الام . والمم . .

— لم نترك المحطة منذ الباردة .

ونوجىء باحد السلاطوني يماثته ،
يلتفت الى عمه الذي ابشمت :

— عفا الله عما سلف يا حدي .
— كنت اقولها . .

واعقب احد هلمسا :

— فضلت استقبالك ، ولو ادى
هذا الى قتلي ! .

يد رقيقة تهتد في استحياء ، ترنو
اليه بعينيها السوداوين ، كلت عينها
رائعتين حقا ، ضحك حدي من
اعماله :

— خلعت السواد يا نبيلة .

— اليوم فقط والنبي يا حدي .

وحين انبجست دموع الفرح من
عينيه ، قالت نبيلة :

— احسن ان روح اخي مصطفى
رجعت النهاردة .

اشار حدي الى مكان الاصبع
الناتصة ، وحكى لها قصة الشظية
التي اصابتها ، وهو يهمهم بانقاذ
جريح . . قالت مبتسمة :

— حمدا لله على السلامة . .

ورغم حلقة السواد التي تحلفت
حول عينيها ، اطل شعاع امل من
عينها الضاحكتين .

القاهرة حسني سيد لبيب

سعر بيع مجلة الاديب :	
التويت	٢٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلس
مصر	٢٥٠ فلس
عمان	٤٥٠ فلس
قطر	٤ ديلات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٣٥٠ ريال
ليبيا	٢٠٠ درهم
تونس	٢٠٠ فلس
الغرب	٢ دراهم
السودان	٢٠٠ فلس
البحرين	٢٥٠ فلس
الإمارات العربية	٤ دراهم

من « الاديب » ، تفتح نوافذ فكرية عقلية بين الشرق والغرب ، وللمغرب في القرن العشرين حظ من هذا ، فإذا كان شوقي على جدارته ، لم يقل هو ولا غيره من اساطين ابناء الشرق : الا ابتذرات طاعور ، جائزة نوبل للاداب ، واذا وضعنا هذا في الكفة السلبية ، غنى كفة الايجاب عنتنا نحن العرب رشيد راجع مكين بجبران خليل جبران وامين الريحاني وميخائيل نعيمة ومن على دربهم وعلى نقول . هذا ونذكر شاعر الاسلام محمد اقبال (ت ١٩٣٨) وهذه الاطروحة التي نحن بمسدها شيء جديد في الصلات الفكرية بيننا وبين الغرب . نعم لنا في مدارس الغرب وجامعاته عشرات الالوف بل مئات الوفها من الطلاب ، ولكن ارتشاف العلوم شيء وذيوع كتب جبران والريحاني في الغرب لسنة واحدة فقط ، شيء آخر .

ينضج لنا ان نقول شاعر الامبراطورية والناج البريطاني « رديارد كبلنج » (ت ١٩٣٦) ان الشرق شرق والغرب غرب ، قد انتهى بانتها الاستعمار . ولا نريد للتحريج في هذا المقال على مناح سياسية ، ولكننا ، والحديث عن كبلنج وشرق وغرب واستعمار وحضارة وما الى ذلك ، نشعر بوجودنا حار اننا مضطرون لنقول جهرة ، ان حضارة اليوم في خطر يقترب منا بطريقة لا حسيية بل هندسية ، واننا نصيح ببلد قننا ان تبني امريكا لاسرائيل بالسلاح والمال والسياسة ، والمهد اثر المهد بان تركض اليها وتنقلها اذلا عززت ، واسرائيل ماضية في العصيان وبلقية على الاراضى العربية المحتلة ، معتدية ، كل هذا سيغير آسما وأفريقيا الى تقليم اظفار اسرائيل . والسبب الذي مع الاسف لم يفهمه العرب بعد ، شيء اسمه لا اسرائيل بل « بروتوكولات حكماء صهيون » التي خبرها عند « اللوبي الصهيوني » في امريكا .

ونرى قبل الكلام عن العلامة الخليلي موضوع الاطروحة ، كما هو موضوعنا الآن في هذا المقال ، انه من المفيد للقارى الكريم ان نضع بين يديه مزيدا من المعلومات المتعلقة بواضع الاطروحة نفسه الدكتور هامليل ، وبمترجميها الاثنان وهما صرران من صدور الترجمة الى الصاد : العلامة الاستاذ وديع فلسطين (القاهرة) والعلامة الدكتور صفاء خلوصي (اكسفورد) وبواضع المقدمة النفيسة للترجمة العلامة الاستاذ محمد عبد الفني حسن ، وجميعهم فخرسان ميادين ، سيماهم في وجوههم ، وكانهم كانوا في حلين ، تحت لواء صلاح الدين .

اما الدكتور هامليل ففي الحادية والخمسين ، وهو الغلية في رضى النفس والتمانة ووزارة التذبيب . وهو من ولاية فلسطينوسس ، ونال درجة بكالوريوس في الاداب سنة ١٩٤٨ من كلية بوسطن ثم نال درجة الماجستير في الفلسفة سنة ١٩٥١ من الكلية المذكورة . وكان من



جعفر الخليلي

جعفر الخليلي

بقلم عجاج نويهض

لاول مرة في ايامنا هذه ، على ما نعلم ، ثرى اديبا عالما ، في ريان الشلب ، ينمى الى الحضارة الامريكية ، كتب له ان يعيش ردها من الزمن في الشرق العربي (العراق) ويدرس العربية باقتان ، ويتكلمها ويكتبها كابنتها ، ثم يخط لنفسه خطة من شأنها التقريب عن طريق الادب بين الشرق والغرب ، وذلك بانه رام اختيار شخصية عربية رائدة ، من شخصيات العصر ، تمنى بالادب عامة وبالقصة والرواية خاصة ، ليضع في صاحبها اطروحة بالانكليزية ينال بها درجة الدكتوراه من احدى جامعات امريكا ، نوقع اختيار هذا العلامة الامريكي جون توماس هامليل على العلامة جعفر الخليلي ، الشخصية الادبية المنيرة في العالم العربي ، والخليلي ، كما هو معروف عنه ، جم المجاني المستهارة ، وحوضه مورود في ميادين الادب على اوسع الاماق العربية ، وفي الصحافة والقصة خاصة ، والشعر والتاريخ والتراجم وغيرها .

واعتقد ان يمثل هذه الخطى الموفقة الرائقة التي سبق طريقها العلامة الدكتور هامليل باطروحته التي وضعها بالانكليزية وترجمت الى العربية (كما سيحي) واشير اليها في باب « برقيات ادبية » في عدد يناير - اكتوبر ١٩٧٧

نصبيه ان يضطلع بالتدريس في كلية بغداد من سنة ١٩٥١ - ١٩٥٥ ثم في جامعة الحكمة من ١٩٦٤ - ١٩٦٦ وكان بين ١٩٥٥ و ١٩٥٨ نال درجة الليسانس في اللاهوت. وفي اثناء تعامله بالتدريس في بغداد ، اقبل على درس العربية حتى انتفها تكلها وكتلبة وقراءة كاحد ابلانها . ثم امضى مدة بعد ذلك في مدرسة اللغات والدراسات اللغوية في جامعة « جورج تون » وتخصص بالدراسات العربية .

وفي سنة ١٩٦٨ انتقل الى جامعة مشفان وانتى الى دائرة لغات الشرق الاذنى وآدابها . وفي سنة ١٩٧٢ احرز درجة دكتوراه الفلسفة في موضوع « جعفر الخليلي والقصة العراقية الحديثة » . هذا بلجاز ما يتعلق بواضع الاطروحة .

امما المترجمان العبرقيان ، وحقا تسم حقا هما فرمسا رهان ، فقد جاءت شركتهما في ترجمة الاطروحة بسبب : ذلك ان العلامة وبيع فلسطين كان تدبدا الترجمة متبرعا لظه الخليلي ، وهو في موطنه الحصين في القاهرة ، واجتاز في الترجمة شوطا ، ثم استغفرته واجبات رسمية جبة انتاشت وقته انتابشا بحيث لم يعد بوسعه المضي و عمل الترجمة على رغبته الملحة ، فمثالوها منه الصفي الآخر للخليلي ، الدكتور صفاء خلوجي (اكسفورد) و تم العمل بحسن التوفيق وحرمة البيت المصطفى / نبأ نوح هذا العمل كله ، بمقدمة كالانجم الزهره في باقة من عطر الزهر ، وضمها سيد النظم والنثر ، ونجدة البيان في هذا العصر ، العلامة الاستاذ محمد عبد الفني حسن شاعر الاهرام ، المترنم بشعره في القصور والخيام ، وكل مصر وشام . وفي الاطروحة ما عدا هذه المقدمة ، تهديد وجيز للدكتور صفاء خلوجي يبين فيه كيف وقعت شركة الفضل والمعون بينه وبين الاستاذ وبيع فلسطين .

الاطروحة في ما يقرب من ٣٢٠ صفحة ، من القطع الذي هو الى الكبير اقرب . وهي منهجية الاسلوب ، حسنة التقاسيم داخل نطقتها ، محكمة ، مستوفية حقا من كل ناحية . يسر القارئ بمطالعتها سيرا امانه نور وضياء ووراء اشراق وسناء . طباعة وضاء . ولكن هناك في رايها المتواضع ، ملاحظة ان كانت خفيفة المنى فغير خفيفة في البنى . وهو خلو الاطروحة من رسوم هذا الرهط المبارك كله ، من وضعت له الاطروحة والمترجمان وواضع المقدمة . اما الدكتور هابيل فرسمه على الغلاف من خارج . ومن واجبا قبل ان نخط برحلتنا بساحة الخليلي الرحبة ، وآل الخليلي في التجف الاشرف وبغداد ان نعرب عن خالص الشكر ، ولا ريب ان جمهرة القراء شركاء في هذا ، لهذا الرهط الذي حلت عليه البركات وهم

مفتقرون في الآفاق بين بغداد والقاهرة واكسفورد وامريكا ، وما اجل التعاون بين عصابة من اهل العلم هذا طرازها . احرزت خيرا ونفعا ويا نعم ما احرزت وانجزت انجازا .

وعلى شكر آخر من اعماق الصدر ، اوجه الى اخي العلامة الاستاذ البير اديب ، الذي بحراسة الله تحمى عناء « الممتنين » تحمى الجبار الصبور ، لما يتلف به التطور ، اخذ الله بيده في استثنائه اسداز هذا « الاديب » الذي اعلى من سلم بريد العرب مكانة عزيزة مقدسة . ولا شيء من المشاركة في الشعور افضل من الاقبال على الاشتراك ، وكل قارئ في الغاصية والدانية يعلم ما حل ببلنن وادارة « الاديب » ، خاصة من فلاح الضرر والخسارة والضياع .

والآن هيا بنا الى الجعفر الخليلي ابي فريدة : آل الخليلي في التجف الاشرف اسرة من اوتاد البلاد ، قديمة المنبت والارومة ، في العلم والفضل وطيل التراث ، جيلنا نجلا ، وبيوتاتها من اكرم بيوتات العرب في العراق . « المرجعية العليا » ، هي القبة في الزعامة الروحانية الشيعية . بعد تكلتها لا كلفة ، بضعة اعلام من صدور الطباع من آل الخليلي تولوا مقام المرجعية . وهم جنود مرجعنا جعفر الخليلي الذي عليه الآن مدار الكلام حتى النهاية . من هؤلاء الجلة الكرام جد المترجم المولى الحاج ملا علي الخليلي ، وعم ابيه الحاج مرزا حسن الخليلي ، وبعده جاء السيد مرزا حسن الشيرازي الذي كان من تلاميذه توفيق الشرق السيد جمال الدين الافغاني . واما والد جعفر فهو الشيخ اسد الخليلي ، وكان حاملا لمميزات آله في سمة الفضل والادب ، وحسن الخلق والتهذيب . سقنله التجارب والايام غازداد حكمة . كان مضافا الى جميع حسناته ، الطب العربي القديم ، وحظه لعلم المنطق . والدة الاستاذ جعفر من فضليات السيدات العائلات على سنن الخير والفضيلة ، وكثيرات من سيدات آل الخليلي في التجف ما كن يقفن في التعلم عند حد القراءة بل يتقن الكتابة ايضا .

كثت بيئة التجف في اول هذا القرن ، لم تزل على معالم البنيات السابغة : مجالس علمية بالفضلاء ، اعشاش كريمة محشوة بهم وهم اوعية الادب وحفاظه ، يروون الاخبار والسير والحوادث . وحلقات مخرسية مكتظة ، يؤمها الشاعر والنثر والمنشد ، وطالب الاستفادة جاء يستمع ويلتقط الدرر المتناثرة من هذا وذاك . الشيوخ المتابعين والعيون الثرة . عادات اجتماعية وان يكن مسننها تدبوا غير انها منطوية على جوهر ولباب من روح العروبة الغضة . الرياضة البدنية ، ودور الضيافة ، والفروسية والذب عن الحيض ، لا سيطرة تدب ولا تلفاز ينطلي ثم يهب ، ولا اذاعة ولا سينما ولا تلفون ولا « كاميرا كوداك » ،

ولا ظم جبر ، ولا سامة زند ، ولا شجرة حلالة جيلات .
ولكن النساء تطير خسرا وبركة والناس بالله مؤمنون
معتصمون .

وليسمح لنا الغاريء ان نقول ان الهجرة في هذا
المثال وان كانت الى الاستاذ جعفر وهو مدار الكلام ، غير
ان علمنا يكون مبنورا ناقصا اذا لم نضع شيئا آخر يتم به
القصء ، ويصح ما لنا على الفرات من ورد ، وهو ان
نعقد باذن الله ومنه فصلا آخر ، في عدد مقبل عن غيتيد
الشعر والادب والارحية والالعية الاستاذ عباس الخليلي ،
أخي الاستاذ جعفر ، رحم الله العباس واطل في عمر
الجعفر ، والعباس (مولده ١٨٩٦) اكبر من اخيه بشياني
سنتين ، وتوفي العباس في طهران سنة ١٩٧٢ وثلاثا حياته
هناك ، وهو فريد في الرجال وحسن الفعل والمقال
والخصال . كان مبر ثورة النجب سنة ١٩١٨ على الانكليز
(ثورة النجب هذه هي غير ثورة العراق الكبرى سنة ١٩٢٠)
علما احل الجيش البريطاني بالمدينة وحاصرها حصارا
ضيقا ، استطاع العباس ان يفر الى ايران بطريقة لعب
فيها القضاء والقدر دورها العجيب . وبقي في ايران
حياته كلها في خبر رائع من الالف الى الياه . فاذا قصرنا
كلامنا على تجربة الاستاذ جعفر فكاننا وقفنا في وسط
الطريق لان عمل كل من الاخوين كان في بلد ، وعلا العباس
في مغيرته علوا كبيرا ، فعبسنا نستطيع ما ينبغي به ايها
التوفيق . ولمضلا عن ذلك فان جعفر يقول ان فضل اخي
عباس علي الى ان وقعت ثورة النجب لا يقل عن فضل
والدي والذتي .

نعود الى الاستاذ جعفر : نعم تعلم العلوم المبسورة
وتنتد — ما عدا القرآن الكريم واللغة — شيئا من التاريخ
والجغرافيا والحساب ، فأول ما لوحظ عليه انه يحب
القصة والحكاية ، او ذات النكتة او المبرة التي تدمو
الى التأمل . ويروي عنه اخواننا الافاضل في بغداد ، وهم
الذين درسوه في هذه الحقبة المبكرة ، انه اول ما جال ،
مال الى قصص الانبياء في القرآن الكريم ، ومعلوم ان
القصص القرآني المراد به الزجر والمبرة ان يعتبر ،
شديد الوقع في النفس محرك للعقل ، وقيل دارسوه
ايضا ، ان النشء المطلع جعفر من هنا تابع يروي عطشه
الى هذا النوع من القصص ، بانتقاله الى مطالعة التوراة
(العهد القديم) الخافلة بهذه المدة . ويستنتج من هذا ،
ان هذا الميل القصصي الاول فيه ، راح ينمو مع نمو
مداركه ، مدارجا تطوره ، فلما بلغ الثامنة عشرة او ما
حواليها ، واشتد ساعده وصار في دنيا العمل العمالي ،
وكانت بريطانيا امست بطاشة بالعراق ، وشبت ثورة
العراق الكبرى سنة العشرين ، وجنل من الانكليز في بطائح

العراق وسائر مواطن السيوف سنون الفا على ادق احصاء
والمجنل اثنان : رصاص الثورة الصماء من يمين العراقي
الثائر البلسل ، وضربات الشمس الكاوية المحرقة (والله
در رصاص رجلاه على الارض ، وشواطئ شمسه في
السماء) — فلما وافى جعفر على هذا العراق ، ولعل
الشيوخ في الامة يذكرون هذا جيدا ، وجد نفسه كانه على
موعد مع رسالتين : رسالة وطنه تحت هراب الانكليز ،
ورسالة نفسه عن طريق استثمار مداركه ومواهبه .
وبنى ما ثارت الساحات ، حينئذ لا تسل عن المدارس
والشهادات .

فأول ما كتب من نوع الواكير ، وهو في اول الطريق ،
واقتمست البلاد العربية بعد الحرب وميها الغليان وقذف
الحم ، قصة « النعساء » و « حبوب الاستقلال » ،
فالاولى مدارها ناحية انسانية كما يدل عنوانها عليها .
واما الثانية فيكاد عنوانها يوحي اليها انها شيء من وصفات
الاطباء للمرضى ، وهي حقا كذلك ، فكان جعفر كانه
الطبيب ، وراح يستصرخ بني وطنه ان هناك ما يشفيهم
من الاستعمار ، هو هذه « الحبوب » ولكنها لا توجد الا
في حبيليات معينة ، ففي العراق في صيدلية جعفر ابو الثمن
(احد النازرين ومن اركان الحركة) وفي مصر في صيدلية
سيد زغلول (ومصر وقتها تصارع الثورة) وفي الهند عند
غاندي (في بيان طريقه) وفي ايرلندا في صيدلية دي فاليرا
(في حركة الشعب غير المشهورة) فكان جعفر يستقي من
النبعتين : نبعة هواه في القصة ، ونبعة حب الوطن ، وما
ابعد اشاراته الى طريق الثورات . وكلا « النعساء »
و « حبوب الاستقلال » طبعتا في النجب . ولكن نبعة هذه
الحبوب كانت هي الاكثر استيلاء عليه ، فجعل يهيء المنشائر
الثورية المستصرخة ويطيحها بطريقة ما ويصتها على ابرز
جدران الحينة لتظل حباشة الشعب متقدة ، والبندقية هي

اشتركوا في مجلة

الارباب

تساهوا في نشر الثقافة

الزوايا من ذهن الخليفي جدير بنا ان نذكر ان له نظرية مهمة وهي ان العراق كلن مهد القصة العربية منذ الزمن القديم . وله رأي آخر وهو ان لبغداد من اصل كتاب كيلة ودنة نصيبا كبيرا ، وهذا الرأي اغرقه في كتاب لم يزل ضمن كتبه المخطوطة .

حياته الصحافية : اما في المدرسة فقد اصدر صحفا توزع داخل نطلق المدرسة ، وهذا احيانا كثيرة ما نراه في الطلاب امثاله الذين تضج صدورهم بالاشواق الى ممارسة الكتابة الصحفية المبكرة . والخليفي وهو في النجف ، وربما كان يتعاطى التدريس في بعض المدارس ، اصدر ثلاث صحف ، اثنان منها لم تعيشا سوى فترة قصيرة اكثر من سنة بقليل ، وهما « النجر الصلوق » و « الراعي » واختيار هذين الاسمين يدل على نزاعته ومطامحه . ففي سنة ١٩٣٠ اصدر الجريدة الاولى وسنة ١٩٣٤ الثانية والراجح ان كليهما اسبوعية . واما الاولى فاقوتها الخليفي من نفسه واما « الراعي » فاقوتها الحكومة وجعلت تطارده عدة اشهر لانه كان يستند سهلة الابهام الشيخ محمد للحسين آل كاشف الغطاء الذي كان صخرة معارضة

لا يكن

ولكن في سنة ١٩٣٥ (هذه سنة حركة الشيخ عز الدين القسام وصحة الثوار في شمالي فلسطين رحبهم الله) اصدر « الهاتف » في النجف ايضا وثابر عليها وذب عنها فماتت حتى ١٩٥٤ ، وفي ١٩٤٨ ، سنة حلول الكبار في فلسطين ، انتقل « الهاتف » الى بغداد وتوطنها حتى اليوم . واصدار « الهاتف » في بغداد غير في « النجف » آمنا وانطلاقا ، ومعاركة تيارات ومساندة تيارات . ولذلك ثقل على السلطة ان تطبق اكثر مما يؤسوسها ثم انطبقت الى الشدة المرة فاعلقت « الهاتف » ١٩٥٤ وهنا القى الخليفي عصا الترحال صحفيا وتحول بجهوده الكلية الى القصة والكتب المختلفة والتاريخ والتراجم على ما سنوجزه للقارىء الآن . ولكن يجدر بنا ان نقول ان جريدة « الهاتف » استطاعت في السنوات الست او السبع التي عاشتها في بغداد ان تبلغ من سعة الانتشار والنفوذ ما مكثها من ان تكون عملا له شأنه في تقوية النهضة الادبية في العراق وخارج العراق ، في القصة ، وفي الشعر ، وفي النقد الاجتماعي . وهذا كله وفق رغبات الخليفي النظرية وهو يربعاها منذ الصغر . قال الاستاذ ميخائيل تميم في الخليفي وهاتته : « الاستاذ الخليفي صاحب جريدة « الهاتف »

التشديد ، ومشى يوما في مظاهرة شعبية حمراء العين والخنجر مشحود الى وسطه كأنه مقاتل .

برح العباس النجف الى ايران غارا من حبال مشنقة الانكليز ، كما تقدم ، سنة ١٩١٨ تاركا في البيت لاختيه جعفر الذي في الرابعة عشرة ثروة لا يعد لها ثروة : « المحتلف » و « الهلال » و « العريان » ومجموعات من الصحف المختارة ، وهذا كله تتألف منه « مدرسة » لجعفر ، وهو لودعي المتابعة والمطالعة والابتنصاف . فصارت افاقه تنسج ، وهو في الوقت نفسه عاكف على بشار بن برد ، وابي نواس والمعري ، ولحرفته الفارسية اضف الخيل وحافظ وسعدي ، واستطاع ان يقرأ لخرج من شعر موبسان الفرنسي . ولا ننسى ان ننبه العربي الناشئ الى ان العقد الثالث من هذا القرن (١٩١٩ - ١٩٣٠) كان حافلا بالثورات والانفاضات العربية من الريف المغربي حيث الثائر المنصور الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي الى سويداء جبل العرب حيث سلطان الاطروش وصحبه . فاینما نظرت فالدخان والصواعق في العراق وسوريا وفلسطين والمغرب وشبه الجزيرة .

في سنة ١٩٣٢ دخل العراق « مجلة الامم » . وتطورت امور العراق الى حد ما سموفى متراجنا الحضر الآن في الثامنة والعشرين ، مستويا في كل شيء : في النجف العلمي والسياسي والادبي ، والقصة راس الرمح . والقصة هو رافع لوائها او بن رافعي لوائها . وقال دارسوه ان القصة عنده هي حكاية الواقع ونقل الصورة الذهنية ، وهو يعتبر توفيق الحكيم والدكتور سعيد عبده والدكتور عبد السلام العجيلي صدور كتابها (لا نري لماذا نسي زعيم القصة محمود تيمور) وروي عن لسان الخليفي قوله ان القليل من قصصه واقعي والكثير خيالي البس لباس الواقع . وسالوه هل له مغامرات في الحب فقال ان هذا الامر لم يشغله كثيرا . وسالوه عن رايه في ما يسمى بالشعر الحر فنبذ نبد النواة . والاستاذ الخليفي يقول الشعر המתار ولكنه من المعلن فيه ، وله من الراجيز المتنوعة ما يبلغ فيه التفوق . وهو يحسن الفارسية احسانا تاما لتحصيله لها في النجف ، وقد انتدبت جامعة طهران منذ سنوات هو والدكتور مصطفى جواد لالتقاء محاضرات مدارها ما اخذ الشعر الفارسي من العربي والعربي من الفارسي وهذه المحاضرات نسقتها الجامعة اللبنانية وطبعتها وقررت تدريسها . وانبأنا لوصف هذه

العراقية التي خدمت الادب العربي في وادي الرافدين سنوات طويلة وهو من كبار القصاصين في العراق ومن اذتهم في وصف الحياة الاجتماعية ومعالجه مشاكلها وتصور واقع المجتمع العراقي بصق وفي براعة .

الخليلي في كتبه واتواعها ووصفها : مجموع مجلدات كتبه المؤلفة المطبوعة لغاية ١٩٧٢ (٢٣) كتابا وهذا تقسيمها حسب موضوعاتها الكبرى :

١ - « هكذا عرفتهم » وهي سلسلة بلغ فيها الجزء الرابع حتى ١٩٧٢ وهي تراجم لن عرفهم الخليلي وخالفهم ، وهذا بشارته : « خواطر من اناس افاذا عاشوا بعض الوقت لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم » وهذا كتابية من تراجم مشقة الاسلوب والمعنى والتصوير حتى تثير كائنك انت كتبت والخليلي بما شاهدتها المشاهد كلها على غير افتراق .. مجموع صفحات المجلدات الاربعة (١٢٤٣) صفحة انطوت على نحو خمسين شخصية عربية عراقية ، منهم « الاخل الصفر » من لبنان ونظير زيتون من سوريا .

٢ - موسوعة العتبات المقدسة : بهذه الموسوعة تمتلك الحضارة الاسلامية لأول مرة هذه الثروة الثقافية المجازة الفريدة ، والغريب ان قد مضى العصر الاموي والعباسي والفاطمي والايوبي ، وعلى كتبة القس في بركات ابواب العلوم واستحدثات موضوعاتها ، ولم يبق احد في هذا الباب الا جعفر الخليلي في النصف الثاني من القرن ١٤ للهجرة . و « العتبات » التي فيها الشروع هي : مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، القدس الشريف ، كربلاء ، النجف الاشرف ، الكاظمين ، سامرا ، خراسان . ولكل عتبة مجلد واحد او اكثر حسب الاقتضاء ، ومجموع المجلدات حتى اليوم (١٤) . والعمل انتدب له ارباط من اهل الكفاية والعلم ، وللخليلي المشاركة العامة على التحرير . ولا يخلو المجلد من بعض الصور والخرائط .

٣ - كتب القصة وغيرها : كتب نوع (١) و (٢) مجموعها (١٧) كتابا ، تخرج من (٤٣) والباقي (٢٦) كتابا في القصة وما إليها . وكتب القصة الحديثة هذه هي التي ارتفعت بمساجيحها الى مرتبة الصف الاول من رواد القصة وكتابتها في العالم العربي المعاصر . ولذلك كان الدكتور هابيل مصباح لما وقع اختياره على الخليلي لينفذ نموذج كتاب القصة الحديثة في العراق . ودارت قصة الخليلي بدارات مختلفة ، وهي وان كانت فكرتها المركزية العراق وجذور القصة العراق ، غير اننا نعلم ان امراضنا الاجتماعية العامة تكاد تكون واحدة ، فاذا عالجته هذه الحالة في العراق فكذلك عالجتها في العالم العربي . هنا نقطة البكر في تمس الخليلي . ولكننا هنا نحب ان نشير

الى كتاب واحد من كتبه لانفراده بميزة خاصة وهو « كتبت معهم في السجن » ، فهذا الكتاب صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٦ وهو دليل على الفريضة العلمية المخروسة في فطرة الخليلي . فخطر له ان يتعمق في دراسة نفسية المجرم الذي حوكم وزج في السجن ، وهنا يلعب علم النفس دوره في الجنائية ، فطلب من الحكومة ان تسمح له ان يدخل السجن في بغداد ويخالط ويجالس المسجونين ، ويحادثهم محادثات حرة . فتم له هذا . ولذلك فانت ترى ما افيد مطالعة كتاب « كتبت معهم في السجن » .

الخليلي خارج اطار الاطروحة : هو اليوم ، بارك الله بمره ، في الثانية والسبعين . منطلق الوجه بقسماته المتوهجة بشائر وابشائيات وانسانيات . اذا جسم الوفاء في الاسواق كان في الخليلي ارتى مثله . رقة معشر ، وعلو جانب . اذا جالسته الاربعة والعشرين ساعة فكذلك في الدقائق الثقاتية الاولى معه . حديثه غذاء للعقل والقلب . تكلته البراعة المختارة سواء اكانت من التراث العربي ام من العمري الحديث . اعتاد ان يصطاف في لبنان منذ اربعين سنة ، ولم يخرم معه الاصطاف في « فندق فاروق » الاسيعة (١٩٧٦) وكانت هذه في لبنان قطعة من جهنم . وجاء السنة هذه ١٩٧٧ نمكت في الفندق عيشه بضعة اشهر وليس في الفندق الا جعفر الخليلي ، ولكن ، نعم ، انه لمصطاف بيساوي لنا ، دون انتفاص ذرة من كرامة غيره من القلاء القباب .

فاذا يسر الله لنا ان نضع فصلا في اخيه العباس ، تكون بهذا قد اتينا بواجب نحو قراء « الاديب » في الآفاق العربية ، اذ نجد في آل الخليلي الفضل مشحونة اطنابه ، والادب عريقة في العراق انسابه ، وكأني بهذين الاخين تقلبا الميادين ، فالعباس كتيبت له ايليه في طهران ، وبقي الجعفر في النجف وبغداد ، غير ان جعفرنا الذي نيه هذه الاطروحة ، يلوح لنا بابيه انه اكثر من جعفر بل انه شيء من حجة والفراة . للاستاذ جعفر ثلاث كريمات غيبن الادب والعلم ، والخلق الكريم والتعذيب العالي : الاستاذة فريدة والذكورة ابتسام والسيدة امثال . ونحيل القارئ على الاطروحة .

وبقي لنا رجاء وامل : نتوقع ان نسمع ان اهل الفضل في العراق طوقوا عنق الخليلي بهرجان تكريم ، ويتلفت اهل الادب في امة العرب الى حكومة العراق متوهمين منها اكرام من وسعت فيه هذه الاطروحة بتخصيص مرتب له مدى الحياة . والعرب امة المستقبل .

عجاج نويهض

رأس المن - لبنان

أبحث عن ذاتي
أسكنني الحلم
والكوخ الساحر فوق جناح الغيم
أعلم بالإنسان العائس
فوق شراعات الزنبق
ينزرق
ويصلي

أهديك .. ما تملك

فأبحث عني
لو أنك أصفيت لأهداك برهة
وشدوت لترنيمة خفتها
ودنوت من المرأة
وتطلعت إلى عينيك
وسمعت أناشيد ضوئية
تطلق كاللحن الطائر
ورأيت على شرفات الأهداب
زهرة عشق بيضاء
فأعلم أنني في ينبوع السحر أضاء
وبهددني خمرة عينيك السكرى
تفسقني بقصيدة حب بكر

*

عبد الشافي داود

أبحث عن ذاتي
فأبحث عني عبر خلاياك
أن طال البحث صديقي
ووجدت شعاعاً مولوداً
ينساب رقيقاً بين حناياك
ووجدت على القلب ازاهراً ..
تتشق في التنبؤ صباحك
ووجدت بأعراقت نبضة حب ..
تتلو صلوات الناسك
ووجدت على نفرك قطرة عطر ..
تتفنى .. الحب ملاك
ووجدت على خيك تذكارات حنان ..
يتنظر في ضوء محياك
فتذكر أنك أنت رفيقي
وعرفت طريقتي
ولتذكر أنني عنقود من زهر الليلك
نمت على صدرك في مخيل عشق
غبت بأضلاعك كي أتلك
لكني عبر الرحلة أهديتك ذاتي
أهديك .. ما تملك

*

القاهرة

نواحيه ، ثم انتهت الى انه لبيان المائلة ، وقد يكون للتبكيث ، ولهذا ترى اللجنة ان التعبير صحيح » .

آسيا ، آسيا

ويطلقون على القارة الكبرى ، التي يقع فيها جزء كبير من العالم العربي ، اسم آسيا (بالبد وتشديد الياء) أو آسية (بياء خفيفة) ، والصواب :

(١) آسيا (بياء خفيفة) : ابو الريحان البيروني ، ومعجم البلدان ، ومستدرك التساج ، ومعجم بادجر ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

والنسبة اليها : آسي (بكسر السين) وآسيوي (بفتح الياء الاولى) .

(٢) واسيا (بفتح فسكون) : هذا هو لفظها في الامامية اليهودية ، وذكر الوسيط ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على استعمالها .

والنسبة اليها آسيوي (بفتح فسكون ففتح) .

اما اسمها في اليونانية فهو : اسيا (بفتح مكسر) .

وقد اخطأ معجم متن اللغة حين اطلق عليها اسم آسية (بمد مكسر ففتح) ، لان من معاني هذه الكلمة :

- (١) الخاتنة .
- (٢) الدعابة . قال النابغة الذبياني :

مسارك قد هدمت بمر طيم اواسي ملك البتنة الاوائل

- الايالي : جميع آسية .
- (٣) الاسكوانة .
- (٤) النناء الحكم اسلمه .
- (٥) آثار القوم اذا ارتحلوا .

ظلة المصباح لا ابجورته

الخطاء الذي يوضع فوق المصباح وحوله ، لتركيز نوره ، وتوجيهه شطر ناحية ما ، يسمونه ابجورة المصباح . والصواب : ظلة (بضم تشديد) المصباح ، وهو الاسم الذي اطلقه عليه مؤثر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في جلسته العاشرة ، بتاريخ ٢٧ آذار ١٩٦٢ (الصفحة ١٢٩ من المجلد الرابع ، من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقترها المجمع ، الرقم ١ ، قاعة الاستقبال) .

وجاء في النهاية في غريب الحديث والاثر ، لابن الاثير : وفي حديث كعب بن مالك « انه فكر فطنا كأنها الظل (بضم ففتح) » هي كل ما اظلك ، واحدها : ظله (بضم فتشديد) . اراد كأنها الجبال او السحب .

وفيها ايضا : ذباب يوم الظلة - وهي سحابة لجأوا الى ظلها من شدة الحر ، فأطبقت عليهم واهلكتهم . وفيها ايضا : رأيت كأن ظلة تنطف السمن والعسل . اي شبه السحابة يقطر منها السمن والعسل .



محمد العبداني

عثرات الادباء

بقلم محمد العبداني

* * *

هذه نبذات انشرها على صفحات مجلتنا « الاديب » ، رغبة مني في تلقي ملحوظات الادباء الاجلاء ، لايفيد منها في الطبعة الاولى ، او في الطبعة الثانية اذا حبلت الي على ظهر سلحفاة :

هو الآخر ، هي الاخرى

يخطئون من يقول : هو الآخر ، وهي الاخرى ، ويرون ان الصواب ان نقول : هو ايضا ، وهي ايضا . ولكن :

وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في دورة عام ١٩٧٣ ، على قرار لجنة الالفاظ والاساليب الاتي :

« شاع في كتابات بعض المعاصرين استعمال : هو الآخر ، او هي الاخرى في مكان ايضا ، او كذلك ... فيقولون : هو الآخر يؤدي واجبه ، او هي الاخرى تذهب الى المدرسة .

» درست اللجنة هذا الاسلوب ، وناقشته من شتى

ومنه الحديث : البقرة وآل عمران كأنهما ظلّان أو غابتان .

الإبالة وأخواتها

ويخطئون من يسمى الحزمة من الحطب أو الحشيش إيبالة ، ويقولون أن الصواب هو : أبالة (بكر فتضعيف) ، ويستشهدون بالمثل المعروف « ضمت على أبالة » والفتحة هو : قبضة من حشيش مختلطة باليابس ، ويعتمدون على ما جاء في التهذيب (حطب) ، والصاحح (حطب) ، ومعجم مقاييس اللغة (حطب) ، والعياب (حطب) ، واللسان (حطب أو حشيش) ، والقاموس (حشيش) ، والتاج (حطب أو حشيش) ، والد (حطب أو حشيش) ، ومحيط المحيط (حطب) ، وأقرب الموارد (حطب) ، والمتن (حطب أو حشيش) ، والمعجم الكبير (حطب أو حشيش) ، والوسيط (الحزمة من الأعواد ونحوها) . وإعني بالحطب والحشيش الحزمة الكبيرة منها .

ولكن :

نستطيع أن نقول (إيبالة) أيضا ، اعتمادا على الأزهري ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والتاج ، وفيل أقرب الموارد ، الذين قالوا أن معناها هو الحزمة الكبيرة من الحطب . وعلى القاموس ومحيط المحيط اللذين قالوا أن معناها هو الحزمة الكبيرة من الحشيش . وعلى شفاء الخليل ، والد ، والمتن ، والمعجم الكبير الذين قالوا أنها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب والحشيش .

وقد خطأ الصحاح والعياب من يقول : إيبالة .

وهناك كلمات أخرى تحمل معنى الإبالة (بكر فتضعيف) :

(1) الإبالة (بكر الهزمة) : قال اسماء بن خارجة :

لي كل يوم من فؤاده فسفت يزيد على إبالة (الذؤالة : الذئب) .

والأزهري ، والصحاح ، والعياب ، ومحيط المحيط الذين قالوا أنها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب .

واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والد ، وأقرب الموارد ، والمتن (مجاز) ، والمعجم الكبير الذين قالوا أنها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب أو الحشيش .

والوسيط الذي قال أنها الحزمة من الأعواد ونحوها .

(2) والإيبالة (بفتح فسر) : المحكم ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والد ، ومحيط المحيط ، وفيل أقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط . وهؤلاء قالوا أن معناها الحزمة الكبيرة من الحطب أو الحشيش ، ما عدا القاموس ومحيط المحيط اللذين قالوا أن معناها هو الحزمة الكبيرة من الحشيش ، والتاج الذي قال أنها

الحزمة الكبيرة من الحطب ، والوسيط الذي قال أنها الحزمة من الأعواد ونحوها .

(3) والوبيلة : اللسان ، والتاج ، وأقرب الموارد ، والوسيط الذين قالوا أن معناها هو الحزمة من الحطب ، والقاموس ومحيط المحيط اللذان قالوا أن معناها هو الحزمة من الحشيش ، والمتن الذي قال أنها حزمة الحطب أو الحشيش كلها .

(4) والوبيل : الصحاح ، وابن خروف (في شرح الديوان) ، والصاغاني ، واللسان ، والتاج ، والمتن . وجميعهم قالوا أن معناها هو الحزمة الكبيرة من الحطب .

(5) والإبالة (بضم الهزمة) : القاموس ومحيط المحيط اللذان قالوا أن معناها هو الحزمة الكبيرة من الحطب ، والمتن الذي قال أنها من الجاز ، ومعناها الحزمة الكبيرة من الحطب أو الحشيش .

(6) والموبلة (بفتح فسكون فسر) : التهذيب ، واللسان ، ومستدرک التاج ، وجميعها تقول أنها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب .

(7) والابيل (بفتح فسر) : المحكم ، واللسان (الحطب والحشيش) ، والد .

(A) والبيلة (بضم ففتح) : التاج (الحطب) ، والمتن (الحطب والحشيش) .

والفهرست المصاحح يذكر الموبل (بفتح فسكون فسر) ، ومعناه « الحزمة الكبيرة من الحطب » ، وأفرد المتن بذكر :

(أ) الابيل (بكر فتضعيف الباء المكسورة) .

(ب) والابيل (بكر فتضعيف الباء المفتوحة) .

(ج) والابول (بكر فتضعيف الباء المفتوحة) .

(د) والابيل .

وجميعها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب أو الحشيش .

أحب أبا بكر أو أبو بكر

ويخطئون من يقول : أحب أبو بكر ، وأعجبت بأبو بكر ، ويقولون أن الصواب هو : أحب أبا بكر ، وأعجبت بأبي بكر . والحقيقة هي أن الجدل الأربع صحيحة . وقد طرح النفس على التسمية ببعض الأسماء الستة ، وهي :

(أب) ، وأح ، وأحم ، وأم ، وأهن (بمعنى شيء) ، وأو . . . بمعنى صاحب) مثل : أبو بكر ، أبو الخير ، ذي النون ، ذي يزن . فإذا سمي باسم مضاف من تلك الأسماء الستة ، جاز في العلم (بفتح اللام) المنقول منها أحد أمرين :

(1) إعرابه بالحروف ، كما كان يعرب أولا قبل نقله إلى الطلعية ، مثل : أبو بكر عظيم ، أن أبا بكر عظيم ، أعجابه بأبي بكر عظيم .

(٢) ان يلتزم العلم صورة واحدة في جميع الاوضاع الاعرابية ، وهي الصورة التي سمي بها واشتهر . نحو : كان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين ، ان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين ، ايمان ابو بكر عظيم . مكلية (ابو) ونظائرهما من كل علم مضاف صدره من الاسماء الستة ، يلتزم حالة واحدة لا يتغير فيها آخره ، ويكون فيها معربا بعلامة مقدرة ، سواء اكانت العلامة حرفا ام حركة على حسب اللغات المختلفة .

ويرى النحو الوائي ان الامر الثاني انسب واولى لمطابقته للواقع الحقيقي ، البعيد عن اللبس ، ولان بعض المعاملات الرسمية لا تجري الا على اساس الاسم الرسمي المعروف .

اما انا فاؤثر الامر الاول ، لكي تعرب الاسماء الستة دائما امرابا واحدا (بالحروف) ، ولنضع مبدأ بيننا وبين المجلة المألوفة : « في المسألة قولان » .

آتاه على الامر مؤاتاة واتاه على الامر مؤاتاة

يقول الصحاح والمختار ، ان الفعل : واتاه على الامر يؤاتيه مؤاتاة ، بمعنى : وافقه وطاعه هو من استعمال العامة ، ويقولان ان الصواب هو : آتاه على الامر يؤاتيه مؤاتاة .
والحقيقة هي ان كلا الفعلين صحيح / والمهموز (آتيته) اعلى ، لانه الاصل . اما الفعل الآخر (واتاه) فهو لغة اهل اليمن وحدهم .

ومن ذكر الفعل آتاه يؤاتيه مؤاتاة : الخليل بن احمد الفراهيدي ، والتعذيب ، والصحاح ، والحكم ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والحريري في هامش المقدمة التعليلية ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، ومستدرک التاج ، والد ، ومحيط المحيط ، وفوزي الذي اکتفى بذكر المصدر (المؤاتاة) ، واقترب الموارد ، والمثني ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

ومن ذكر : واتاه يؤاتيه مؤاتاة : جاء في الحديث : « خير النساء المؤاتية لزوجها » وروي الحديث مهبوزا (المؤاتية) .

ومن ذكر الفعل (واتاه) ايضا : معجم مقاييس اللغة ، والحريري في المقدمة التعليلية ، والاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمصباح ، ومستدرک التاج ، والد ، وقيل اقرب الموارد ، والمثني ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وذكر معجم مقاييس اللغة ان (واتاه) لغة قبيحة في اليمن .

وقال المصباح ان (واتاه) يمنية ، وهي المشهورة على السنة الناس .

وذكر مستدرک التاج ، والد ، والمعجم الكبير ان الفعل (واتاه) هو لغة اهل اليمن .

الصيغة لا اتيكت

البطانة التي تلصق بالشئ ، وعليها من الكتابة والرسم ما يعرف (بضم الياء وتشديد الراء المفتوحة) به ، ويشير الى قيمته ، يطلقون عليها اسمها الفرنسي معربا : الاتيكت . ولكن :

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي أعدتها لجنة الحضارات القديمة والوسطى ، بجميع اللغة العربية بالقاهرة ، في البند (ب) ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الرابعة ، بتاريخ ١٠ شباط ١٩٧٢ ، في المادة رقم ٣٥ ، ان المؤتمر اطلق على تلك البطاقة اسم : الصيغة (بفتح فكسر) .

محاذير لا تأثيرات جانبية

ويقولون : ان لبعض العلاجات تأثيرات جانبية في اجساد المرضى . وفي ترجمة حرة لاصطلاح الطبي الانكليزي . والصواب : ان لا يشتمل بعض العلاجات محاذير .

والمحاذير جمع : محذور ، وهو ما يتقى ويحترز منه . وغطه : حذره (بكسر الذال) يحذره (بفتحها) حذرا (بفتح الحين) . والرجل حذر (بفتح فكسر) ، وحذر (بفتح فسم) ، وحاذرة ، وحذريان (بفتح فسكون فكسر) كما يقول اللسان . والشئ محذور ومحذور منه كما يقول الوسيط . وقد قلت في حرب الطائرات :

وبعنتها رطعها ، فغطمه وصبح من جاراتها الانجم الزهر
نظر به عينا ينف على السها وان وقع المحذور ، فهي له خير

مأثورات شعبية ، تراث شعبي ، فولكلور

ويخطئون من يطلق على ما يتركه السلف من الفنون والآداب الشعبية ، اسمه الحرب : الفولكلور .

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقترنها لجنة الفاظ الحضارة « الفاظ الفنون » ، بجميع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثانية عشرة ، بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٧٢ ، في المادة رقم ٣٤ ، ان المؤتمر اطلق على ما تركه السلف من الفنون والآداب الشعبية ، اسم : المأثورات الشعبية والفولكلور .

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ،

عام ١٩٧٣ ، جاء فيها : « فلكلور : ماثورات شعبية ، او
تراث شعبي (مجمع) . »

قائم

ويخطئون من يستعمل الفعل تائم (يفتح الاء المضعفة)
بمعنى : وقم في الائم ، ويقولون ان معناه :

- (١) كف عن الاثم وتجنبه .
(٢) تاب من الاثم واستغفر .
ويعتمدون على ما يأتي :

(أ) جاء في حديث ابن عباس: «كلفت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فلما كن الإسلام تأموا من التجارة فيها، أي: تحبوا التجارة فيها».

(ب) تأثم فلان : تحرج عن الإثم وكف (التهذيب ،
والصالح ، ومعجم بمقاييس اللغة لابن فارس ، والحكم ،
والنهاية ، والمصباح ، والقاموس ، والد) .

(ج) تأثم : تاب من الإثم (المحكم والقاموس) .
(د) يثأثم من كذا : يعتزله ، يتحدث منه (الصحاح
والقاموس في مادة « حثف ») .

وفي الحديث انه كان يأتي غار حراء فيتحنث فيه .
وجاء في المد ، ومحيط المحيط ، والنتن ، والمعجم
الكبير ، والوسيط .

(هـ) تائم فلان : (١) كك عن الهم وتجنبه .
تائم من الشيء : (٢) تاب منه واستغفر .
ولكن : قال ابن الأنباري في كتابه « الأضداد » :
عد تائم الرجل :

(١) أتى ما فيه المائم (بفتح فسكون ففتح) .
(٢) تجنب المائم .
والفعل تائم عنده من الكلمات التي تحول معنيين متضادين .

فی مطلع کل شهر

اطلبوا

الأسباب

من الباعة والمكتبات

وانفراد ابن الأثيري بقوله : (تأثم : اتي ما فيه المأثم) ، يجعلني اتصح بعدم اللجوء الى استعمال الفعل تأثم بهذا المعنى ، دون ان تخطئ من يضطر الى استعماله ، لان ابن الأثيري من اعلم اهل زمانه .

أَخَذْتُ الْكِتَابَ ، أَخَذْتُ بِالْكِتَابِ

ويخطئون من يقول : أخذت الكتاب ، ويقولون ان الصواب هو : أخذت الكتاب من فلان . وكلنا الجبلتين صحيحة . والمعنى : تناولت الكتاب وامسكت به . ونقول :

(١) اخذ بيد فلان : اعانته وساعده .

(٢) اخذ بنفسه : غلبه وتهره . وفي حديث بلال
يخاطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، حين غلبه
النوم : « اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك ، يا بني انت وامى
يا رسول الله » . وقال جرير :

إذا اخلت ليس عليك وخلق باقطارها ، لم تدرك من أين تخرج

(٣) اخذ على يده : منعه عما يريد ان يفعله .
وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال : « اني سمعت رسول الله يقول : ان النفس اذا راوا الظالم لم ياتوا على يداه ، اوشك الله ان يصممه بمقبعه » .

(٤) اخذ على نفسه : منعه من الكلام .

(٥) اخذ غيبه الشراب : اثر غيبه .

(٦) **الجدد في العمل** : بدأ فيه .

(VII) المذللان يفعلان كذا : جعل .

(٨) اخذ الشيء : حازه .

(٩) أخذ الحديث : نقله ورواه .

(١٠) أخذ العدو : أسره .

(١١) اخذ الداء خلافاً : اصابه .

(١٢) أخذ مقعده ومضجته : قعد ، ونام . وعن أبي سعيد الخنري في حديث له ، قال : « خذوا مقاعدكم ، فخذوا مقاعدنا » .

(۱۳) اخذ فلانا بلسانه : نال و نه .

(١٤) أَخْذْ فَلَانًا بِذُنْبِهِ : عَاتِبِهِ وَجَازَاهُ .

وفي الحديث : « من أصاب من ذلك شيئاً أخذ (بضم الهمزة) به » . وقال كعب بن زهير :

لا تفلخني بقول الوشاة ، ولم اغضب ، ولو خفرت في الاقوال
(١٥) اخذ على فلان الارض : ضيق عليه سبيلها .
قال حبيب :

اخذنا عليكم عيون البصير وبسر السلاله وامصارها
(١٦) اخذ عليه كذا : عده عليه وعانه .

محمد المدفاني

(الميتولوجيا) ، وراثتهم الذي طالما اعتدوا به ، وناحروا به غيرهم من الآتوم .

ولن يضرنا في حال من الأحوال :

ان يكون ميراثنا هذا يتكىء في كثير من المواقف على ما كلن للامم المجاورة من ميراث . فيقتسم من الفرس واليونان والرومان والمصريين والفينيقيين والبابليين والهنود .. وغيرهم . فالمعرفة ملك الناس جميعا ، وفي سرعة الوجود ان يقتسمها الناس من بعضهم .

وكان الجهد الذي بذل في ملحمة (عبقور) عظيما . . فلقد استطاع شاعرنا العبقري ، ان يقوِّص في اعماق الماضي على قلة ما بين يديه من المراجع ، في هذا المجال بوجه عام ، ثم على قلة ما تصل اليه يده من المراجع العربية وغير العربية ، وهو في مختبره اليميد في اميركا الجنوبية . وان يلتقط بالمشقة البالغة جذاذات متفرقة من هنا وهناك ، كثيرا ما تتضارب من حولها الرواية ، وكثيرا ما تضطرب المسيمات ، وكثيرا ما يجيء النص مبتورا مشوها ، لا حافز يستدرجه ، ولا دافع من ورائه ، ولا وازع يستحث منه الخطى ، ولا هدف واضح المعالم يمتد بين يديه . . ورغم ذلك كله . .

وبفضل شاعريته المفضحة الخيال ، استطاع ان يضيئ على تلك الجذاذات - بكل ما سلف من صفاتها - من حجب الهامة الإبداع ، ما جعلها معه انشيد رائعة اخاذة لا تفل في زرعها عن ذلك الذي نقرأه في اساطير الالهة والاباطة والشاهانية وغيرها . .

فاستمع الى شقيق المفلول في نشيده الاول ، وهو ينطلق بصحة شيطان شعره ، ليزور معه وادي عبقور ، غمرى فيه عالما من الجن والشياطين تسوسه عراة ساهرة ، ترى بزجر الطير ما لا يرى ، وتؤجج المفلول والعنبر لتبارس سحرها فيمن حولها . . الى ان يقول :

مغر لغز الكلب ، ما وددت انكافها ، الا لربابها
نغم وهش لحة دجورها واعمل على تزيق حبابها
قسم نضري يحبه شاطونها تطل في جنبك من بهما
وكيف من نك ناعينها تنسل من موهة سردنها
وانظر الى القفلان في وجرها تصم انليك بصفها
هشد من الوهش كقسي به ترتع من نكسك . . فيلها

ويضي مع شيطانه ، وقد خلق به في الجو ، ووجهته ذلك العالم المجهول بكل ما فيه من عجائب وغرائب الى ان يقول :

وانطلق الشيطان في الجو سي كانه اتبيزك او اسرع
حتى نهوى بسى الى موهة ما راقى من قبله موهة
غتمم زرق على سننها بمائل .. جبرانها تسرع
تنور في ابراجها فجة بها يفيض الانس الاوسع
ضال هدي عبقر ما نرى رصبة الجن الذي تسرع
جهلها الاربع مرسودة تعرسها زمعار .. اربع

ثم يمضي في انشاده ليصف كيف رأى الإبراج الهائلة ،



محمد سليم رشدان

شاعر عبقور

في آثاره الخائذة

بقلم محمد سليم رشدان

في تاريخنا الطويل . .

اشفق رجل من اعلامنا في الماضي على ما كان للعرب من تراثهم الاسطوري ان ينقرض ، فاقدم على تأليف كتاب سماه : « اسنام العرب » ، وهذا الرجل الفيور من اعلام باصينا هو ابن الكلبي .

وشاء الله ان يتكرر ذلك في تاريخنا على نحو اجدي . ويكون ذلك على يد الشاعر العبقري شقيق عيسى اسكندر المعلوف (١) ، وفي ملحمة الخالدة التي احتواها فيوانه « عبقور » في انشيدته ، التي بلغت اثني عشر نشيدا ، ومقدمته الشاملة الضافية ، عن : « الاساطير العربية » .

وفي هذا السفر القيم :

برزت الاسطورة العربية تراثا خالدا له وزنه ، وله قيمته التي لا تنتقص ، فإذا نحن مثل غيرنا لا نقصر في السبق عن اولئك الذين لهم تراثهم الخالد في علم الاساطير

(١) اقيمت هذه الدراسة في المهرجان الانسي الذي اقيم في رحلة بستان في بداية صيف هذا العام في لكرى الشاعر شقيق المعلوف .

وقد غص بها السهل والجبل هناك ، وكيف رأى المغاريت هناك وهي كائنات كثرة ، وبينهم اقزام الجن وهم يملأون سفوح الربا ، وجيشهم جرار قوي ، لا يتغلبه قلب ، وإذا ما ارادوا زحفا ركبوا اغرب المطبات ، وحملوا من السلاح كل عجيب غريب .

وينتقل الى التشيد الثاني ، وفيه يصف عراقة الجن في عبق ، وفي اي وضع كانت هناك ، فيقول :

حوم شيطاني علس عبقر بولها بموده .. واتحدر
وهط بس فيها .. نالقصي امام شيطاني ، طواها الكسر
نلف نعلها علسي وسطها يكن في نايه .. كيد الفدر
مخامر الصنل من حولها نلج الجس عليها .. زمر
ودبت سخطا وقد هالها ان يقلق الارواح مرأي البشر
نبا لصوت .. حلت لها دوى ان اديم الارض نضي اقتصر

ويبغى يتحدث عن مشاهد عجيبه غريبه في وادي عبقر ، حيث يصف اميرة الجن ويطول به الوصف بما يستغرق معه التشيد الثالث كله . وذلك خلال اغنية الجنية ، التي يدع فيها ايها ابداع ، واخيرا ينتهي الى التشيد الرابع ، وفيه يتحدث عن (سرحوب) الاعى صاحب السرداب ، الذي ينتهي منه الى سجين . . وبذلك يقول :

لوح (سرحوب) لنا بعد ما غارتنا في الصمة القبيحة
وسرت في درسي مستشرما وادي سجين .. علس رابية
واد يصي الحمر جدرانها كفا شيت به القاتمة
جهنم المختارنه مبنا لها واطلمت في علس الهابسة
لاحت على القفل من حرمها فمراس زقوم جهنم القبيحة
نقوت ابليس ولولده صرمون الدهر في عاتمة

ثم يصف اللوانا من الشياطين في سجين ، ونهم (داسم) شيطان النخالص ، ثم (اعور) شيطان الشهوة ، ثم (زلنبور) شيطان المال ، ثم (مسوط) شيطان الكذب .

ثم ينتقل الى الحديث عن (الهوجا) و (الهوبر) واولهما شيطان الشرع الخبيث ، وثانيهما شيطان الشرع الصالح ، ويطول به الحديث عنها وعما يمارسانه من ضروب الشرع ، ويستغرق ذلك منه التشيد السادس بأكمله .

وينتقل بعد ذلك الى التشيد السابع ، وفيه يتحدث عن رؤيا (امية بن ابي الصلت) ، الذي كان له قلب نبي ولسان شاعر ، وذلك ان طائرين شقا صدره ، وغسلا قلبه ، ولكنه استعصى على النبوة ، فاعاداه الى حيث كان ، واستاق من ذلك الحظم ، دون ان يجد دما ولا جرحا .

وفي التشيد الثامن يتحدث عن حكمة الكهان ، ويبدأ بالكاهن (سطيج) ، الذي تقول عنه الاساطير بأنه كان جسما بلا عالم ، فيصفه قائلا :

ا هوة لغيلان هل وقفة ارب منها .. بين غول وجان
يهط بس الشيطان بنا لنا بشرد الايام .. واهي الحضان
انسى نلقت بنيلها .. تحبضي مينال .. نورسان

سحنة عاشره .. عن انساب يحددها القنصل
لم نزل حنى نزلنا على كينين في بايريسا كاهن
كلمنا اكسب خلاصا دم المخلص صمصا الاجواس
لكاهن الزاهد ، وسلبه مدينة ناز عبدا من نفل
مخلص جسود مسن عظمه مد رة قال له : كن .. فكان
رشو لو الكلف علس قصه نلقت مرق الشرى .. اموان

ومعد ان يفرغ من الكاهن (سطيج) ، ينتقل الى الكاهن (شق) الذي كان نصف انسان ، فكان بذلك اعجوبة اخرى من عجائب الاساطير ، وقد اطلع على الغيب مثلما اطلع (سطيج) ، وفيه يقول :

ولكاهن الاشرف لو حكمة لم يجد العاليل فيها احد
قد شق من اعلى الى اسفل ولم يسر فيها بشرط العبد
بعيد الله علسي خلفه .. بشق وجهه مثل ويسد
بما افصر الا عبت شيدته وقسمت الاجسام الا بسد
بما كافر يقصر هل حكمة ادعيا كشد بين العدد

ثم يبغى يسرد لنا تشيد الكاهن (سطيج) ثم تشيد الكاهن (شق) ، وفي التشيد يتحدث كل واحد منهما عن حقيقة ذاته ، ويطلع هذه الحقيقة بما يظهر معه الرضا بقضاء الله فيه .

وينتقل الشاعر الى التشيد التاسع ، وفيه يتحدث عن (غابة الحور) ، ثم عن (ثورة في الجحيم) ، ثم عن تشيد هؤلاء الثارات من حوريات الغابة ، ويعرض في هذا التشيد لوصف الوصف الرائع لجمال الطبيعة ، وجمال الخلق والانواع في صنع اولئك الحوريات ما نحلى معه شاطرة الالهة .

وفي التشيد العاشر ، يتحدث عن العناء في خلقها الهائل ، وحجمها العظيم الذي يتجاوز في عظمه كل وصف ، ثم يتحدث عن طائر الرخ وشجرة النبوءات ، وفي ذلك يقول :

ودوحه بسقفة خلفها ان لها الشهب ويريات
بنسة والعزى نوطاتها وجبل الكبر والصلوات
في عشر مانت صامت لولا عالم الاسر .. خبات
البرغ مشدود الى حجابها عا له هبت .. اسلات
كلمنا طورها في السرور لمطلب البرغ .. هبات

ثم يبغى في وصفه لحرقة الفينق ، الذي يحرق ذاته اذا افترخ ، ثم ينبعث ثانية من خلال الرباد ، ثم يصف تلك الأوكار الهائلة التي تعيش فيها تلك الطيور الهائلة كما تصفها الاساطير .

ويصل الى التشيد الحادي عشر ، وفيه يسرد اسطورة (نصر بن دهمان) ، الذي اعادته الاساطير بعد ان ادرك الشيخوخة الى الشباب ، فنبئت اسنانه ثانية ، وعادت اليه قوته ، وكل ذلك بلهمة من (للشعري القميصاء) اخت (الشعري اليمانية) التي عبرت المجرة لاحقا بحبيبيها ، فسميت بذلك (الميور) وسميت اختها (القميصاء) لبكائها الطويل حزنا على غراتها . .

وفي هذا النشيد كذلك ، يتحدث عن انهاده ، الفاتنة الحسنة التي احبها ذات يوم هبل الاكبر ، فاحتلها معه الى السماء ، لتلظ على الناس من هناك ، باسم كوكب الزهرة . وفي ذلك يقول :

كلت اناهيذ غنونا متى لما بفرعيها الضى يسكر
مر على خبئها قار.. تبارك الطبيب الذي ينشر
ماتجنت للعيب اميها وانز منها الفصن القمر
لثلاث ليلات تنفست كما لو هن نزل الرمح او اقصر
حسى اذا مالت بنهاتها يد العرى لفلول ما ضهر
ابنظها ركفى جواد جرى من بلها مصعبا .. يدسر
وتهب على اثره مذعورة لمقاعة ، وتمدو لاهة خلف
جواده لمها تلحق به ، وظلت تضرب في البيداء على اثره ،
حتى انهكها السير ، وعند ذلك :

لاح لها من جانب القصى مارج نار ضوءه يهر
وسيد كان مصيرها اطل من مقته ينظر
صاح بها : يك حى وارجمى ما اتا لا هبل الاكبر
ومفتت اناهيذ تستطفه حتى رق لها قلبه ، وعند
ذلك مال عليها قائلا :

جيك يا هذى كبا شلنه قلب السموات به اجدر
وفل لي صبر الملى هابلا روح اناهيذ الملى مسمر
وشع من بعد خلال الجوى على الغرابا كوكب نير
نلك اناهيذ لها من مل صحن على اهل القوى نسر
وانفتد الناس بعد ذلك اناهيذ الجبيلة ، فلذا هي
جئة هابدة وعيناها شاخصتان الى التهام ، فاذا هي

كما قال الشاعر :

يشخص لي نجم الملى جنبها كلسه بالجبم معتود
صاهوا : اناهيذ .. وراح العدى يزور : انهيذ .. اناهيذ
وكان في الارض لها مقام وفي مفاصل الملى عيب

ثم يتحدث بعد ذلك عن تسور لقمان السبعة ، التي
عاش بمقدار اعمارها حين حقق له رب الكمية طلبته بها ،
وكان آخرها : (ليد) ومعناها الدهر . كما يتحدث بعدها
من شكاة خرافة ، الذي خربت بحديثه الامثال لما فيه من
اغراق في الخيال .

ويصل اخيرا الى النشيد الثاني عشر ، وفيه يتك
بالتقارى ، على حدود عيقر ، ثم يصف له رغمت الميترين
هناك ، ثم يتك طويلا مع هيس الجاهم ، ويصف ما
تحدثت به من احلام اولئك الشعراء ، التي ما زالت تحبل
الى الناس الامل والاحلام العذاب .

ذلك هو ديوان عيقر ..
الذي حوى تلك الملحمة الخالدة ، غنون فيها لامة
ما غفل الناس عنه ، وابتى لهم ترانا خلدا ، كان
يحيط به من شباب الاحمال ما يوشك ان يطمس اثره
ويخفى معالمه ، ويذهبه بددا دون ان يلتفت اليه احد .

وبهذا الجهد التيم
استطاع ان يسبق غيره الى اتجاز له تيمته ووزنه ،
فاستحق عليه من امته كل ثناء وتكدير .

ولم يكن ديوان عيقر هو كل ما وقع بيدي من آثار
هذا الشاعر ، فلقد وصل الي ديوانه : « سنابل راعوث » ،
وفي هذا الديوان طالعني شفيق الملووف في معظم دواوينه :
(نداء المجانيف) و (لكل زهرة عيبر) و (على سندات
الخليل) و (عينك مهرجان) ، فقد اختار من هذه
الدواوين كلها . وضيته ديوان : « سنابل راعوث » ،
مضافا اليه تصائد جديدة ما بين مترجم وموضوع ، وذلك
الى جانب ما اختاره من ديوان (عيقر) .

وفي هذا الديوان تطالعك في صدره قصيدته :
« نداء المجانيف » التي يصف فيها الراجلين عن الوطن
فيقول :

مخالفين عبر اليم طلب لها صدى يرجعه صفى من الموج هادى،
منى رهس يشقن الحباب تصامت من اقصر تجري خلهم الاكلى،
بدمعن سنا ندرهم القوى على كل امق والرياح ساوى،
نواك ما ادري اعند وداهم نلن الصواري ام نلن المرائ،
اطلوا بوجه من كوى المس واحم كاني بهم نج بكنه الشواهي،

وفي هذه الصورة يسجل فيها اروغ مشاعر الحنين
التي يحس بها المواطن النازح ، وهو يغترب عن وطنه
الى بعيد الآفاق ، وقد اطل على شواطئه الحبيبة من كوة
السفينة بوجهه والماجم ، فكان في نظر ذلك الشاعر دبعة
ذرفها الشاطيء ، فسالت بها مياه البحر . وهو في
« غمامة هروشيا » يسجل اروغ مشاعر الانسان .

وفي قصيدة « نداء البعيد » يعتر بامجاد لبنان ، من
الملك (حمران) ، (صيفون) وهي تشهر سيف الفتوح ،
الى (بلبلان) (بنطليق) من قلب (صور) بجوب البحار ، الى
معلطف يرفى صور مصبغة بالارجوان ، الى نور الحرف
الذي شع من لبنان ، وفق علما عند كل بحر ..

وفي قصيدة (غرناطة) يفر بلونك البدو من ربيعة
ومعر ، الذين انشأوا هناك من الحضارة ما تحدث عنه
الشبيلية وقرطبة والمعاهد الزهر ، وظليلة وغرناطة
وسواها ، بل يحدث عنه قصر الحمراء والسقوف والجدر
والنيسفاء الرائثة الى ان يقول :

ابواك الزهر من طومهم خطت عليها الايات والصور
حروف محد لي رونق اعنتت كلامهن الرماح تشجر

انه شفيق الملووف الشاعر اللبناني العربي الانسان .
الذي افتخر بلبنان ، كما غامر بعرويته ، وبرزت مشاعره
الانسانية الى جانب ذلك في كل مناسبة . ولسوف تبقى
اكاره الخالدة ، وآثار امثاله من ابناء لبنان وفيهم والده
واخوته ، سوف تبقى حلجا منيعا في وجه كل دعوة الى
غير سبيلهم الذي سلوكه .

فرحم الله شفيقا وطيب ثراه ، وله الخلود والبقاء
فيما ترك من آثار قيمة ، وانها لجديرة بان تخلد ذكره
على الدهر .

عمان - الأردن (ص ١٧٥٥) محمد سليم رشدان

الذي لا غنى عنه ، في علاقات الدول ، غنيت به الالتزام الكامل بالمسؤولية الدولية .

انما ، اليوم ، ننتقل الى اعلى مستويات القضاء في لاهاي ، حيث تقوم محكمة العدل الدولية ففحص ذلك الاحساس الممتزج بلون من المباهاة الانسانية الرغيدة بأن دول العالم استطاعت ، ولو على الصعيد النظري ، ان ترسخ فكرة اللجوء الى القانون في حل منازعاتها ، بالطرق السلمية ، لكننا لا نلتئ ان نشعر ، بعد قليل ، بغصة من يصدم الواقع المرير احلامه العذبة الكثيرة ، فزنا منساقين انسياقا الى اعادة عجلة التاريخ القضائي الدولي التقرى ، لتبتين مراحل تطوره ، والشواوب التي اعترت تيسام مؤسساته ، والاسباب العميقة التي لا تزال تحول دون المزيد من فعاليته ، بحيث لم تستطع نداءات الحق في العالم ان تحرس ، في مكان ، اصوات المدافع .

معلنى ضوء ما تقدم سوف نلتزم في بحثنا هذا خطة دقيقة واضحة ، نحرص فيها على الاجاز قدر الامكان ، فنناقول بالبحث :

١ - فكرة المسؤولية الدولية .
٢ - المسؤولية الدولية والحلول السلمية التحكيمية للمنازعات .

٣ - المسؤولية الدولية والقضاء الدولي .
٤ - المسؤولية الدولية والقضاء التحكيمي : محكمة العدل العربية .

٥ - مستقبل القضاء الدولي .

أولا : فكرة المسؤولية الدولية

يتألف المجتمع الدولي ، بصورة رئيسية ، من الدول التي تتمتع بالحقوق وتلتزم بالواجبات ، من خلال تعاملها فيما بينها . وهي ، لهذا السبب ، تعقد الاتفاقيات وتبرم المعاهدات ، هرصا منها على حسن انتظام العلاقات الدولية ، ولا سيما متى استقر في قناعة كل منها ضرورة التلازم المطلق بين اقتضاء الحق واداء الواجب . لذلك كان كل اخلاق من احدى الدول بواجباتها تجاه اشخاص القانون الدولي العام . وكل انتقام من حقوقها ، الشرارة الاولى التي قد تؤدي الى قيام منازعات وحروب ، ان سهل تحديد بدايتها ، فمن الصعب جدا تحديد تاريخ نهايتها ، وتجنب العالم محاذيرها ومخاطرها ، فضلا عما تركه من نتائج رهيبة ، وما تتسبب به من خسائر جسام في ارواح البشر وممتلكاتهم ، وما تصدعه من قيم مثلى جهدت الانسانية الجهد كله لتكريسها وتأكيد معانيها في ضمائر الشعوب .

الحقوق والواجبات الدولية

ومن المتفق عليه ان من أهم حقوق الدول : حق البقاء (الذي يشمل حق الدفاع الشرعي وحق منع التوسع العدواني) ، وحق الحرية ، وحق المساواة ، وحق الاحترام المتبادل .



فوزي عطوي

القضاء الدولي والاقليمي

في ضوء تطور فكرة المسؤولية الدولية

بقلم فوزي عطوي

تهديد : القضاء والمسؤولية الدولية

في عصر ما برح المجتمع الدولي فيه يبتهج سياسة السيك الكبير والسيك الصغير ، يميزرى اتواؤه بحقوق شملتله ، ويجعلون لحوار المصالح والفرائز القدر الممل على كل حوار صادر عن العقل والقلب ، يتسائل المرء حقا : الى اي مدى ترسخت فكرة المسؤولية الدولية ، ناهيك بقواعد الحقوق الدولية العالمة ، في اذهان الدول ، حتى يستطيع ابناء البشر ان ينظروا بعين النفاؤل والامل الى المستقبل الامن الذي طالما وعدتهم به المواثيق والمعهود الدولية ، وحتى يمتدقوا بالتالي بجودى القانون في مجال التعامل بين الدول ، او في مجال البحث عن حل سلمى عادل لفص المنازعات التي تشتب فيما بينها .

ولكن كان الانسان المعاصر يشعر بتلك الزئيقية المخيفة التي تربن على العلاقات الدولية ، فتعرض المجتمع الدولي لحرب باردة حينا او لحرب ساخنة حينا آخر ، او لحرب من النوعين معا في بعض الاحوال ، فهو رغم كل شيء ما يزال يحيا على امل ان تحل قوة الحجة محل حجة القوة ، وان تتعزز سيادة القانون الدولي عن طريق تعزيز فعالية القضاء الدولي والقضاء الاقليمي ، انطلاقا من حجر الزاوية

ترتيب المسؤولية الدولية

وتبدأ ، ببدء ذي بدء ، الى التأكيد على ان اخلال الدول بواجباتها الدولية لا يؤدي الى اكثر من اسهبان الرأي العام العالمي ، او الى معاملتها بالمثل . ومن هنا انتفاء فكرة المسؤولية القانونية الدولية في حال الاخلال بمثل هذا النوع من الواجبات الدولية ، وبالتالي انحصارها في حالة الاخلال بالواجبات القانونية التي ذكرناها منذ قليل . في ٢٦ تموز ١٩٢٧ ، اصدرت محكمة العدل الدولية الدائمة حكماً جاء فيه (١) : « من مبادئ القانون الدولي ان كل اخلال يقع من دولة بأحد تعهداتها ، يستتبع التزامها بالتعويض الملائم ، وان هذا التعويض امر متلائم مع عدم القيام بالتعهد ، والالتزام به قائم من نفسه ، دون حاجة الى ان يكون منصوحاً عليه في الاتفاق الذي يحصل الاخلال به » .

وبهذا الحكم انهى القضاء الدولي مسألة الخلاف الذي دار بين فقهاء الحقوق الدولية العامة حول التناقض بين سيادة الدولة ، بصورة مطلقة ، وبين تحملها للمسؤولية القانونية عن اعمالها .

لقد ذهب بعضهم الى ان الدولة ، بما لها من السيادة هي انا يرجع المصالح للفصل فيها بترتيب على تصرفاتها ، وان اصلاح الاضرار او التعويض عنها ، مرده الى رغبة الدولة وحدها ، فهي التي تقوم به بحسب اختيارها .

بينها ذهب آخرون الى ان السيادة المطلقة غير وارادة في المصالح الدولية ، واما فكرة تناقض مع تنظيم الحياة الدولية ^(٢) ان يوضح يؤدها السماح للدول بان تعمل ما تشاء ، وتعدي كما تشاء ، وتنتهك حرمة القانون وحقوق الغير كما تشاء ، دون ان يكون لاحد حق مناقشتها ، الحساب عن ذلك ، ودون ان يوقتها عند حدها سوى استعمال القوة .

والحقيقة التي لا شك فيها ان الدولة في مجال تحمل مسؤولياتها هي كالأفراد سواء بسواء . ومسؤولية الفرد لا ترتب الا اذا توفرت له حرية ، وبالتالي فلا تكون مسؤوليته مرتبة الا بمقدار ما يكون حراً في تصرفاته . وكذلك الدولة ، فان مسؤوليتها لا تتناقض مع سيادتها ، لا بل هي على العكس نتيجة منطقية لامتعتها بالسيادة ، في حين ان الدولة ناقصة السيادة لا ترتب عليها المسؤولية الا بمقدار ما يكون لها من الحرية في اجراء التصرف .

ومن هنا ، افضاء المسؤولية عن الضرر الى الالتزام بالتعويض عنه . وقد تأكد هذا المعنى في نص المادة الاولى من المشروع الذي اعتهه لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة اذ ورد فيها (٣) :

(١) الحكم الثالث - المجلد ١ - ب من مطبوعات محكمة العدل الدولية الدائمة ، ٢٩ .
(٢) الكتيب السنوي للجنة القانون الدولي ١٩٥٨ جزء ٢ ص ٧٣ الصادر عن هيئة الأمم المتحدة .

كما ان من المتفق عليه كون اهم الواجبات القانونية للدول ، هي على العموم تلك التي اشير اليها في مشروع اعلان حقوق الدول وواجباتها الذي وضعت له لجنة القانون الدولي التابعة لهيئة الأمم المتحدة :

١ - مراعاة احكام القانون الدولي في علاقة كل دولة بغيرها .

٢ - تسوية الخلافات الدولية بالوسائل السلمية ، وطبقاً لاحكام القانون والعدالة .

٣ - الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية او الخارجية للدول الاخرى .

٤ - الامتناع عن مساعدة اية دولة تلجأ الى الحرب او الى اي استخدام آخر غير مشروع للقوة ، وكذلك اية دولة تتخذ الاسم المنحدر ضدّها اجراء من اجراءات الضرر .

٥ - الامتناع عن الاعتراف باي زبادات اقليمية قد تحصل عليها احدى الدول نتيجة للحرب او اي استخدام غير مشروع للقوة .

٦ - الامتناع عن تشجيع الثورات الاهلية في اقاليم الدول الاخرى .

٧ - ضمان ان تكون الاحوال في اقليم كل دولة على نحو لا يهدد السلام والنظام الدولي .

٨ - معاملة جميع الاشخاص الخاضعين لولاية الدولة على أساس احترام حقوق الانسان والحرية الرئيسية لهم جميعاً دون تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين .

٩ - تنفيذ الدولة بحسن نية لالتزاماتها الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي .

١٠ - عدم الالتجاء الى الحرب او اي استخدام غير مشروع للقوة .

يضاف الى ما تقدم ان ثمة واجبات ادبية تلزم بها الدول ، وتقوم على فكرة العدالة او الانسانية او المجاملة ، ومنها :

١ - معونة الدول التي تصاب باحدى النكبات الطبيعية كالوباء والزلازل والظوفان .

٢ - التعاون في مجال تحسين الاوضاع الصحية ، لتخفيف مخاطر الوباء والأمراض .

٣ - التعاون في مجال تحسين مستوى معيشة الافراد ، من الناحيتين المادية والروحية .

٤ - التعاون لصد موجات الاجرام وتسهيل عملية تبادل المجرمين .

٥ - ايواء السفن الأجنبية ، في حال هبوب زوايج واعاصير بحرية ، او في حال اصابتها بمطعم ما .

٦ - مراعاة مبادئ الاخلاق العامة والايمان بالوعود التي تصدرها الدول ، والامتناع في ممارسة حقوقها او استخدام نفوذها .

فكرنا في موضوع عناصر المسؤولية ، أما إذا كان الضرر نتيجة لجشرة الدولة أحد حقوقها الطبيعية ، دون ما نصف ، وفي حدود القانون الدولي ، فلا مسؤولية دولية عليها آنذاك ، وأما ما تقوم به الدولة ، أعمالا منها لفكرة الضرورة فغالبا هو القبول بترتيب مسؤوليتها والتزامها بالتعويض عما سببته من أضرار .

٣ - أن يكون ثمة خطأ صادر عن الدولة المشكو منها ، لا غرق في ذلك بين الخطأ المتعمد أو الخطأ الناجم عن أفعال . وأما إذا انتفى هذا الخطأ وكان الضرر بسبب قوة قاهرة ، أو نتيجة خطأ من الدولة الشاكية نفسها ، فلا تقوم المسؤولية على الدولة المشكو منها ، في تلك الحال (١) .

أسناد العمل للدولة المسؤولية

وغني عن البيان أنه لا غرق في قيام هذه المسؤولية . وعند تحقق الشروط المذكورة أن يكون العمل صادرا عن الدولة من جراء أعمال تشريعية ، أو أعمال قضائية ، أو أعمال تنفيذية :

أ - أما مسؤولية الدولة من جراء الأعمال التشريعية ، فننتحى كما في قيام المجلس التشريعي بسن قانون داخلي محتلف للقانون الدولي أو الالتزامات الدولية ، أو في أحجابه عن سن قانون يلقي القانون الداخلي المخالف . وقد أشرنا في هلمس سابق إلى رأي محكمة العدل الدولية الدائمة بتاريخ ١٩٢٢ بهذا الشأن .

ب - أما مسؤولية الدولة من جراء الأعمال القضائية ، فلا استقلال القضاء هو مبدأ بشكل قاعدة داخلية وحسب . فليس لمحكم دولة ما أن تخل بالمساواة في معاملة المواطن أو الأجانب ، طالما أنها يمثلان أمامها - ويخضعان لحكمها ، إلا عد ذلك استنكافا عن الحق *Deni de justice* يعرض الدولة للمسؤولية الدولية (٢) .

وتكيدا لهذا المعنى ، فقد جاء في المادة السادسة من قرار مجمع القانون الدولي في اجتماع لوزان ١٩٢٧ : « تكون الدولة أيضا مسؤولة ، إذا كان في الإجراءات التي اتبعت أمام قضائها أو في الحكم الصادر منه ، إخلال ظاهر بالعدالة وعلى الأخص إذا كان الدافع على هذه الإجراءات أو هذا الحكم ، شعور الكراهية بالنسبة للأجانب بوصفهم كذلك أو باعتبارهم رعيا دولة معينة بالذات » .

ج - ولما مسؤولية الدولة ، أخيرا ، من جراء الأعمال التنفيذية ، فهي أهم وأشهر أنواع المسؤولية المترتبة على الدولة . وقد تترتب ، كما أوضحناه غير مرة ، بسبب القيام بعمل غير مشروع دوليا ، أو الإمتناع عن

« أن المسؤولية الدولية للدولة ، بسبب الأضرار التي تسبب اشخاص الأجانب وأموالهم في أقليمها ، مؤداها الالتزام بتعويض هذه الأضرار متى كانت نتيجة أفعال إيجابية أو مواقف سلبية متأنية للالتزامات الدولية ، اتخذتها سلطاتها أو موظفوها . ولا يجوز للدولة أن تحتج بنصوص قانونها الداخلي لكي تغفل من المسؤولية الناتجة من الإخلال بالالتزام دولي أو عن عدم تنفيذ » (٣) .

عناصر المسؤولية الدولية

نستنتج من النص السابق ، ومن نصوص كثيرة غيره ، أن ترتب المسؤولية الدولية يقوم على أساس ارتكاب الدولة لعمل غير مشروع *Acte illicite* بالنسبة للقانون الدولي ، وهذا هو أول عنصري المسؤولية الدولية . وارتكاب العمل غير المشروع قد يكون نتيجة أفعال إيجابية ، أي القيام بعمل مخالف للقانون الدولي *Commission* ، وقد يكون نتيجة أفعال سلبية ، أي الإمتناع عن عمل كان يجب على الدولة أن تقوم به ، *omission* ، وهو ما يطلق عليه ، قانونا : « الارتكاب من طريق الإهمال أو الإمتناع » . وأما ثاني العنصرين ، فهو ارتكاب المسؤولية إلى الارتكاب غير المشروع بالنسبة للحقوق الدولية العامة ، لا بالنسبة لأي قانون آخر . ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه لا عبرة للقانون الداخلي في هذا الصدد ، إذ قد يكون عمل الدولة متفقا مع أحكام قانونها الداخلي ولكنه مخالف لأحكام القانون الدولي . وفي هذه الحال يحتق العمل على أن ذلك لا ينفي المسؤولية الدولية للقوة الرابطة .

شروط المسؤولية الدولية

ولكن ، ما هي القاعدة القانونية التي تستند إليها المسؤولية الدولية ؟ ونسارع فنجيب : أنها القاعدة ذاتها التي تستند إليها المسؤولية في القانون الخاص : أن هناك ، أولا ، قاعدة فقهية شهيرة تقول : « لا ضرر ولا ضرار والضرر يزال » وأن هناك ، ثانيا ، قاعدة قانونية خاصة تقول « أن كل فعل غير مشروع يتسبب عنه ضرر للغير ، يوجب التزام فاعله بإصلاح هذا الضرر » .

على ضوء ذلك ، ينبغي قيام ثلاثة شروط لأجل ترتب المسؤولية الدولية :

١ - أن يكون ثمة ضرر جدي يحق دولة ما ، لا غرق في ذلك بين الضرر المادي ، كالاعتداء على حدود الدولة أو إحدى سفنها ، وبين الضرر الأدبي ، كاستنكاف احترامها ، أو إتهان أحد ممثليها .

٢ - عدم مشروعية العمل ، إيجابيا أو سلبيا ، كما

(٢) في الرأي الاستشاري الصادر بتاريخ ١ شباط ١٩٢٢ من محكمة العدل الدولية الدالة (قضية معاملة البولنديين الجيئين في داليزغ) ورد ما يلي : « لا يحق لدولة أن تتسلل أفراد دولة أخرى بمسؤولها الخاص من التمسك من الالتزامات التي تفرضها عليها قواعد الحقوق الدولية أو المصادات المرمعة الإجراء » .

(١) المرجع السابق : الكتاب الأول - ص ١٦٦ - ١٧٢ .
(٢) تراجع بحث بعنوان *Charles de Vischer « Le déni de justice en droit international »* في مجموعة محاضرات لاهاي (أكاديمية القانون الدولي) ١٩٢٥ - ج ٢ - ص ٤٠٢ .

القيام بعمل متوجب ، دوليا ، متى ارتكبه احد موظفيها الخنبيين او الدبلوماسيين او العسكريين او احدى اداراتها او احدى مؤسساتها ، وذلك ايا كان مستوى الموظف المرتكب ، وسواء كان مرجعا مخلصا او غير مخلص ، وسواء كانت الحكومة فعليه او قانونية ، معترفا او غير معترف بها ، والشرط الوحيد هو كون العمل غير المشروع وظيفيا ، وليس شخصا . اما النظرية القديمة فكانت توجب ان يكون العمل صادرا عن موظف كبير ، او عن مؤسسة ذات مستوى رفيع .

حالات المسؤولية الدولية

وسواء كان الضرر ناجما عن سلطة تشريعية او قضائية ، او تنفيذية ، وعن موظف كبير او صغير ، وعن مرجع صالح او غير صالح ، فيبقى ان للمسؤولية الدولية كما للمسؤولية الفردية ، حالتين اثنتين : اولاهما : المسؤولية التعاقدية . وثانيتهما : المسؤولية التقصيرية .

١ - اما المسؤولية التعاقدية ، فتكون نتيجة لاخلال الدولة باحد التزاماتها التعاقدية التي التزمت بها مع الدول الاخرى ، بموجب الميثاق والمعاهدات الدولية . وقد سبق ان اشرنا في سياق هذا البحث ، الى الحكم الثامن الصادر عن محكمة العدل الدولية الدائمة والذي يتضح منه صراحة ان الالتزام بالتعويض يترتب حتى ولو لم ينص على ذلك في الميثاق او المعاهدة التي جرحه الإخلال باحكامها .

هذا بالنسبة لما تعهده دولة مع دولة .

اما ما تعهده الدولة مع الافراد ، فيبقى النظر فيه للصفة التي اتخذتها الدولة ، عند ابرامها العقد : فان كانت ارتبطت بالمقد ، بصفتها شخصا معنويا عابدا ، فلا تثار مسؤوليتها الدولية ، ويبقى القضاء العادي هو المرجع الصالح للنظر في الخلاف بينها وبين الافراد . اما اذا ارتبطت الدولة بالمقد بصفتها سلطة عامة ، ومسؤوليتها الدولية ختربة حكما .

وقد تأكد هذا المعنى في نص المادة ٧ من مشروع لجنة القانون الدولي (وقد اشرنا اليه من قبل) ، اذ ورد في فقرتها الاولى :

« تسال الدول عن الاضرار التي تصيب الاجنبي نتيجة عدم تنفيذ الالتزامات المتفق عليها ، في عقد جرم مع هذا الاجنبي او في امتياز منحه اياه الدولة ، اذا كان عدم التنفيذ هذا يصل الى حد اعتباره فعلا او امتناعا مخالفا للالتزامات الدولية للدولة » .

٢ - واما المسؤولية التقصيرية ، فتكون نتيجة الاعمال التي تقع من احدى السلطات او الهيئات العلية في الدولة ، اخلالا باحكام القانون الدولي العام ، حتى ولو تعارضت كما اوضحنا من قبل ، مع احكام القانون الوطني . واذا كان من المتفق عليه ان هذه المسؤولية مترتبة ،

عند ثبوت قيام الموظفين او المؤسسات بالعمل غير المشروع ، فما هو مدى ترتب هذه المسؤولية على الدولة اذا قام بالعمل ذاته ، بعض الافراد الذين لا حصة رسمية لهم ؟ .

بدوي ان امثال هؤلاء لا يعملون باسم الدولة ، ولا لحسابها وارتكابهم يكون شخصا لا وظيفيا ، وبالتالي فلا مسؤولية دولية على الدولة الا اذا ثبت ان تشريعها يخلو من تموص تعاقب على القيام بالاعمال المشكوك منها او اذا كان في تشريعها نص صريح ، ولكنها اهملت البحث عن الفاعل لحاكمته ، او لم تيسر للجهة الجنئي عليها سبيل الوصول الى التعويض عما لحقه من اضرار (٦) .

ولكن على الرغم من ان المادة العاشرة من مشروع لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة تنص على ان « تسال الدولة عن الاضرار التي تصيب الاجانب نتيجة افعال الافراد اذا كانت سلطاتها او موظفوها قد اعملوا افعالا ظاهرة في اتخاذ الاجراءات التي تتخذ عادة لمنع او عقاب مثل هذه الافعال » .

فان المادة الثالثة من قرار مجمع القانون الدولي (لوزان ١٩٢٧) نصت على انه « لا تسال الدولة عن الاعمال الفسرة التي تتع من الافراد الا اذا كان الضرر ناشئا عن قصورها في اتخاذ الوسائل المناسبة التي يلجا اليها عادة في الظروف المماثلة لمنع مثل هذه الافعال او للمعاقب عليها » .

وايضا كان موقف فقهاء القانون الدولي العام بهذا الشأن ، يعطى ان يشير الى ان ثمة حالة خاصة ، بالنسبة للمسؤولية التقصيرية المترتبة على الدولة ، وهي حالة قيام ثورة او قيام الحكومة بقمع الثورة ، ومن جراء ذلك ترتب ضرر على الاجانب المقيمين فيها او المارين بها . وقد اتفق الاجتهاد على ان الدولة لا تسال عن هذه الاعمال لان الثوار لا يرتبون على الدولة مسؤولية ، وقمع اعمال الثوار حق طبيعي للدولة في المحافظة على بقائها ، ولا يجوز ان يقتنع الاجانب بامتيازات لا يتمتع بها رعايا الدولة انفسهم . لكن ذلك لم يمنع الدول من دفع بعض التعويضات في مثل تلك الاحوال بدافع الانسانية والرحمة (٧) .

غير انه ، اذا اعترفت الدولة للثوار بصفة المحاربين ، فيصبحون هم المسؤولون تجاه الدول الاجنبية مما يصدر عنهم من اعمال مخلة بتوازنين الحرب ، وكذلك الامر اذا صدر الاعتراف لهم بتلك الصفة من جانب دولة او دول اجنبية .

لا مسؤولية دولية قبل استنفاذ طرق المراجعة القضائية

وفي كل حال ، لقد استقر الرأي على ان ثمة اجتهدا

(٦) القانون الدولي العام للدكتور علي صادق ابو هيف - منشأة المعارف الاسكندرية طبعة ١٩٦٠ - ج ٢١ ، بند ١٢٠ .

(٧) وهذا ما فعلته الولايات المتحدة الامريكية بعد حرب الانفصال الالهية - وفرنسا واسبانيا في المغرب عام ١٩٠٧ ومصر بعد حوادث الاسكندرية عامي ١٩٨٢ و ١٩٦١ .

وتوصياتها ، واجتهاد المحاكم الدولية والاقليمية ، واجتهاد المحاكم الدائمية ، وآراء الفقهاء ، ومبادئ العدل والامتناع .

لنستألف هنا لنبحث في مصادر القانون الدولي العام او في تصنيف المعاهدات والمواثيق الدولية ، وان تكن كلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بموضوع دراستنا . لكننا نحب ان نخلص من ذلك الى القول بان نشر السلام في ربوع هذا العالم هو مطلب حيوي لكافة الشعوب ، وهو يقوم على اساس الاحترام المتبادل لسيادة كسل دولة ، والحرص الكليل على قواعد التعامل فيما بينها ، بهدف تحقيق العدالة والمساواة والخير المشترك .

لذلك كله ، ترتبت للدول حقوق ، وترتبت عليها واجبات ، وكان من جراء تلك الحقوق والواجبات بما ، ترسيخ فكرة المسؤولية الدولية ، في عصر خطا التنظيم الدولي فيه خطوات واسعة لم تترك مجالا للحديث على السيادة المطلقة للدولة ، بحكم كونها عضوا من اعضاء المجتمع الدولي .

ولو كانت دول العالم تحترم توفيقاتها على المهود والمواثيق والمعاهدات ، وتلتزم بما يفرضه انتشار السلام في ربوع الدنيا من احترام لقواعد العدالة والمساواة والخير المشترك ، لتحقت « ارض الاحلام » السعيدة التي داعبت خاطر اغلاطون في « الجمهورية » والفارابي في « الحنية الفاضلة » ، وصوفيل بلتر في « ارون » ، وتوماس مور في « يوتوبيا » ، وهربرت جورج ويلز في « يوتوبيا الحديثة » ، ووليم موريس في « اثناء الارض التي لا وجود لها » وخلييل ولتر سركيس في « ايام السماء » و « ارضا الجديدة » .

لكن المجتمع الدولي ما يزال ، مع الاسف الشديد ، ينتهج سياسة السمك الكبير والسمك الصغير . ما يزال هذا المجتمع ، رغم معرفته بواجباته ، يمي يمينه الا من حقوقه وما يتعدى تلك الحقوق . ما تزال قوة الحق فيه دون مقام ججة القوة ، ما تزال شرائعه وتشريعاته ، وقوانينه ، ومثلها ، وقواعد العمل فيه تنتهى عند انطلاقي اول ذقينة من مدافعه ، وجباياته وسفنه ، وطلقاته ، وصواريخه . حتى لقد اصبح انسان هذا العصر ينظر الى ما تواضع المجتمع الدولي عليه من قوانين ونظم ، فلا يستطيع ان يفتخ نفسه — وليته يستطيع — بان تلك القوانين والنظم المكرسة في نصوص دولية لا تعدو كونها حبرا على ورق ، او اكايب واشايل تصفها الدول الصغيرة المستضعفة وشعوبها المظلومة على امرها ، بينما تضرب بها الدول القوية عرض الحائط ، بل هي تتحدى بها وجه الارض والسماء .

الحقوق والدعوة الى الوسائل السلمية لحل المنازعات

ومع كل هذا ، فقد حاول المجتمع الدولي ان يتلمس الطريق السوي الى مواجهة ما يقوم بين الدول من منازعات تخلف دوافعها ويواعثها ، لكنها ان لم تحل بالطرق السلمية

دوليا ثابتا يرسخ القاعدة القليلة بان الادعاء بالمسؤولية الدولية هو ذو صفة احتياطية . بمعنى ان هذا الادعاء يكون مرفوضا في الشكل ، اذا لم تكن الجهة المدعية قد عميت الى استفاد كافة الطرق القضائية التي تخولها القوانين المحلية ولوجها من اجل الاعتراف بحقها (٨) . وقد تركز هذا الاجتهاد في كثير من القرارات الدولية ، نخص بالذكر منها قرار اللجنة التحضيرية لتقنين الحقوق الدولية المجتمعة في لاهاي عام ١٩٢٠ .

آثار المسؤولية الدولية

اما وقد تحققنا من كون الاتجاهات الفقهية جميعا تصب في مكان واحد ، وهو تأكيد المسؤولية الدولية ، فيبقى ان نشير الى ان اهم آثار هذه المسؤولية هو اصلاح الضرر والتعويض عنه ، وقد يتم ذلك باحدى وسيلتين :

١ — اما اعادة الحال الى ما كانت عليه قبل وقوع الضرر .

٢ — واما بدفع التعويض المناسب وفقا للقواعد العامة للموجبات .

وفي حال عدم الاتفاق بين الدولتين المعنيتين على مقدار التعويض ، امكنهما عرض القضية على التحكيم الدولي او القضاء الدولي . وفقا لاحكام المواد ٣٣ و ٣٦ و ٩٤ من ميثاق هيئة الامم المتحدة .

ونوع التعويض المادي ، تعمد الدولة المشكو منها عادة الى تقديم تعويضات ادبية اذا صح التعبير ، ومنها : ١ — الاعتذار الى الدولة المتضررة بالطريقة الدبلوماسية .

٢ — التصريح علنا بعدم اقرارها بالعمل المشكو منه ، اذا كان صادرا من احد موظفيها .

٣ — فصل الموظف المرتكب للعمل غير المشروع ومحاكمته .

وعلى هذا الاساس ، تستقر العلاقات الدولية وتنفي اسباب قيام المنازعات او الحروب بسبب التضارب بين المصالح ، او الانتقاص من الحقوق المقررة لها ، وفقا لقواعد القانون الدولي العام .

ثانيا : المسؤولية الدولية والاطول السلمية التحكيمية للمنازعات

لا ريب في ان انتظام دول هذا العالم الواسع في هيئة دولية او اقليمية ، هو ظاهرة يشجعها تؤكد حرص المجتمع الدولي على توثيق افضل روابط التعاون والعمل المشترك في سبيل تحقيق الامن والعدل والرفاهية بين الشعوب ، عن طريق مختلف انواع الانتخابات والمعاهدات والمواثيق التي تعتبر الاداة الطبيعية للعلاقات الدولية ، كما تعتبر من اهم مصادر الحقوق الدولية العامة الى جانب العرف الدولي ، والبيانات الدولية ، ومقررات الهيئات الدولية

(٨) الحقوق الدولية العامة للكونر نولد شياط — منشورات جامعة دمشق ١٩٦٤ — ١٩٦٥ — الطبعة الثانية — الصفحة ٢٢٩ .

ادت كلها الى الخراب والدمار ، وعلى ضوء ذلك ، نصت المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة على ما يلي : « يفرض جميع اعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والامن والمعدل الدولي عرضة للخطر » .

ولم تترك الميثاق حبل « الوسائل السلمية » على غاربه ، بل حددتها في المادة ٣٣ منه بما يلي : « يجب على اطراف اي نزاع من شأن استمراره ان يعرض حفظ السلم والامن الدولي للخطر ان يلتصوا حله ، بلايء ذي بدء بطريقة المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية او ان يلجأ الى الوكالات والتنظيمات الاقليمية ، او غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها » .

التوفيق : وإذا كان لا يهنا ، في نطلق بحثنا هذا سوى الوسيطين الآخرين : التحكيم والتسوية القضائية ، فلما لا نستطيع ان نتجاهل بأن « التوفيق » يعتبر نوعا حديثا من انواع الوساطة ، وطريقا وسطا بينها وبين التحكيم والقضاء . وقد راج لدى العديد من الدول ، بعدما تبنت اليه عصبية الأمم عند بدء تكوينها ونص عليها كثير من المعاهدات الثنائية والعمامة (٩) .

وتتولى التوفيق لجان خاصة اطلق عليها اسم « لجان التوفيق » تشبه في تكوينها « لجان المحقق » وسبل مهنتها فضلا عن تحقيق المسائل التي يقوم عليها النزاع ، لتتراجع حل لهذا النزاع يمكن ان يرتضيه الطرفان المتنازعتان (١٠) . وقد تناولت موضوع التوفيق عدد « الحكام ميثاق التحكيم العام الذي وضعت » عصبية الأمم « في ٢٦ ايلول ١٩٢٨ ، والمعروف باسم « ميثاق جنيف العام » .

والملاحظ ان لجان التوفيق ، وان كانت عظمية الشبه بهيئات التحكيم او القضاء ، من حيث مهماتها ، الا انه ليس لمقراراتها اية صفة الزامية للدولة صاحبة العلاقة التي يبقى لها مطلق الحرية في انفاذه او رفضه ، وذلك خلافا للقرار التحكيمي او للحكم القضائي وكلاهما ملزم لاطراف النزاع .

ومع ذلك ، غيري بعضهم ان اسلوب التوفيق اتاح امكانات اوسع مدى من القضاء لكنها تبقى بعيدة المنال . الحلول القضائية : ولما الحلول القضائية ، فاتها تنقسم الى نوعين :

- ١ - قرارات التحكيم الدولي .
 - ٢ - الاحكام القضائية الصادرة من محكمة دولية .
- التحكيم الدولي :** يمكننا اولا تعريف التحكيم الدولي بأنه النظر في نزاع بمعرفة شخص او هيئة يلجأ اليه او

(٩) القانون الدولي العام للدكتور سلمي جبنة ، القاهرة ١٩٢٨ - ص ٥٧٣ و ٥٧٤ ،
(١٠) القانون الدولي العام للدكتور علي صادق ابو حيف - الاسكندرية ١٩٦٠ - ص ٦٤٦ ، نه ٤٠٨ .

اليها المتنازعون مع التزامهم بتنفيذ القرار الذي يصدر في النزاع (١١) .

ويهدف التحكيم الدولي الى تسوية المنازعات بين الدول على يد قضاة تختبهم هذه الدول ، وعلى اسس احترام الحق (١٢) .

والفرق بين التحكيم والتوفيق يعود الى ان الموفق او الوسيط تقتط سلطته عند حد العرض والاقتراح ، اما الحكم ، فسلطته هي كسلطة القاضي وقراره له ما للحكم القضائي من صفة الغرض والالزام .

اما الفرق بين التحكيم والقضاء ، فيعود الى ان الدول المتنازعة تخار المحكمين بينها لا خيار للدول في تسمية القضاة الذين يقضون في المنازعات التي تقوم بينها .

ويعود التجاء الدول الى التحكيم لتسوية ما يثور بينها من منازعات الى تاريخ قديم ، اذ كان للمدن اليونانية القديمة مجلس دائم للتحكيم يدعى Amphyetion كما نجد الدول المسيحية تلجأ في القرون الوسطى ، الى تحكيم البابا فيها يثور بينها من منازعات ، او الى تحكيم امبراطور « الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة » ، باعتبار ان الامبراطور والبابا كانوا يعتبران ، في ذلك الزمان ، رئيسين لا منازع لهما ، لبقية رؤساء الدول .

وبعندما قامت سلطة امراء الاتحاد ، واصبح كل امبراطور امرا لملكه ، في القرن السادس عشر ، اصبح الامير هو الموجه الذي يهد الى التحكيم .

هيئات التحكيم الخاصة : وفي مرحلة تالية ، بدأت الدول المتنازعة تلجأ الى هيئات تحكيم خاصة ، بدلا من اللجوء الى الأفراد ، منها حصل بالنسبة لحسم الخلافات بين انكلترا والولايات المتحدة الاميركية على الحدود الفاصلة بين هذه الاخيرة وكندا .

واخيرا قام التحكيم القضائي بمناسبة ارسال الانكليز الباخرة الحربية « الياها » لمساعدة نوار الجنوب في حرب الانفصال الاميركي ، فاقامت الولايات المتحدة الدعوى امام محكمة التحكيم في جنيف استنادا الى نص معاهدة واشنطن التي وقعتها في ٨ ايار ١٨٧١ ، فحكمت هذه المحكمة على بريطانيا بداء تعويض مادي جسيم .

محكمة التحكيم الدائمة

وعندما اتعمد مؤتمر لاهاي الاول عام ١٨٩٩ انفتحت الدول المؤنرة على تأسيس « محكمة التحكيم الدائمة » التي يرمز اليها بحروف C.P.A. وجملت مقرها في مدينة لاهاي . ثم جرى تنظيم المحكمة وتحديد اصول العمل لديها ، في مؤتمر لاهاي الثاني عام ١٩٠٧ . وإذا رجعنا الى النصوص المنظمة للمحكمة المذكورة ، وجدنا انها لا تؤلف « محكمة » ولا هي « دائمة » وانه ليس .

(١١) القانون الدولي للدكتور علي صادق ابو حيف : ص ٦٤٨ .

(١٢) المادة ٣٧ من معاهدة لاهاي لعام ١٩٠٧ .

طريق طلب إعادة المحاكمة ، أو كسبا يسميها القانون اللبناني : فتح المحاكمة .

وبما تنفيذ القرارات التحكيمية ، فهو خاضع لشرف الدولة المحكوم عليها ، وهذا الأمر وارد ليس بالنسبة للقرارات الدولية ، بل لأحكام المحاكم الوطنية التي تصدر بحق الدولة فقط .

تقييم التحكيم الدولي

إن التحكيم هو في الأصل عمل اختياري ، نلجا إليه الدولة المعنية ببلء اختيارها ، وبما لها من سيادة ، فلا يتيسر والحال هذه أن يفرض عليها اللجوء إلى هذه الوسيلة السلمية القانونية لفرض نزاعاتها بسع الدول الأخرى ، بصورة للزامية . لكن رواج التحكيم ، خلال القرن التاسع عشر ، وما أسفر عنه من نتائج طيبة ، جعل الباحثين في الحقوق الدولية السامة يتجهون وجهة توسيع دائرة التحكيم الدولي وتعميمه ، وجعل الانتقاء إليه ذا صفة الزامية بمعنى أن تبادر الدول إلى الاتفاق مقدما (ودون أن يكون هناك نزاع فعلي بينها) على اللجوء إلى التحكيم ، في حالة قيام مثل هذا النزاع ، وعدم إمكان تسويته بالطرق الدبلوماسية ، فمثل هذا الاتفاق يكون بمثابة تعزيز للتحكيم الإلزامي والتزام الدول به يكون التزاما تعاقديا تقبله بمطلق أرائها .

وهكذا نصت الدول في الكثير من المعاهدات التي تبرمها على الالتزام بالتحكيم الإلزامي في كل نزاع ينشأ من تطبيق أو تنفيذ تلك المعاهدات .

نسم ما لبثت أن خطت خطوة جديدة ، إذ أبرمت معاهدات خاصة بالتحكيم في جميع الممارعات ذات الصبغة الحقوقية . وبعد ذلك ، بذلت جهود كبرى في مؤتمري لاهاي الأول (١٨٩٩) والثاني (١٩٠٧) لتقرير التحكيم الإلزامي . لكن بعض الدول لم يكن منضمها للفكرة . فلم يسفر الأمر إلا عن تصريح تضمنته مقبلة البروتوكول النهائي للمؤتمر الثاني ، أعلنت فيه الدول المشتركة في المؤتمر :

١ — الاعتراف ببدا التحكيم الإلزامي .

٢ — تقرير وجود منازعات معينة ، وخصوصا ما تعلق منها بتفسير وتطبيق الالتزامات التعاقبية الدولية ، جديرة بالمعرض على التحكيم الدولي دون أي قيد وبهذا الموقف سجلت الدول المشتركة في مؤتمري لاهاي خطوة تراجعية ، في مجال الاعتراف بضرورة تحمل المسؤولية الدولية الكاملة ، وبالتالي الالتزام بقرارات التحكيمية الدولية .

فهل كان حظ القضاء الدولي أوفر من حظ التحكيم الدولي ، في مجال ترسيخ الالتزام الجدي بالمسؤولية الدولية ؟

هذا ما سوف نجيب عليه في المباحث التالية .

نوزي عطوي

لها من صفتي المحكمة والدوام غير الاسم (١٣) وسبب ذلك : أولا : أن اختصاصها اختياري بحت والدول المنازعة أن تحتمن إلى أية هيئة أخرى تختارها ، دون هذه المحكمة . ثانيا : أن تكوينها ليس على سبيل الدوام والانتظام ، كما هي حال « المحكمة » فهي ليست مكونة من عدد معين من القضاة ، موجودين على الدوام أو خلال فصل قضائي محدد في مقر المحكمة ، بل هي مجرد قائمة بأسماء أشخاص من رجال القانون تنتخبهم الدول الموقعة على اتفاقية لاهاي الأولى لمدة ست سنوات قابلة للتجديد .

قواعد التحكيم الدولي

ثمة قواعد متبثقة عما استقر عليه التعامل الدولي ، ينبغي أن يخضع لها التحكيم الدولي ، وهي تلخص فيما يلي :

١ — من حيث الأساس : يستند التحكيم إلى الإرادة التي تبديها الدول في سك خاص ، يسمى « اتفاق التحكيم » والا اعتبر الحكم باطلا ، لأن ما يبنى على الفساد فهو فاسد .

٢ — من حيث الموضوع : ينحصر التحكيم الدولي في رؤية المنازعات الحقوقية كتفسير المعاهدات ، وتنفيذ أو تحديد صحة الوقائع أو تعيين قيمة الضرر الناشئ عن العمل غير المشروع الذي ارتكبته إحدى الدول .

٣ — من حيث اختصاص المحكمين : أن اتفاق التحكيم ذاته هو الذي يحدد اختصاص المحكمين ، ويكون هؤلاء المحكمين حق البت في اختصاصهم ، دون تجاوز ولا كان حكمهم باطلا .

٤ — وأخيرا من حيث الأصول المتبعة في التحكيم ، فهي الأصول الضيقة ، وثانرا ما تكون شفوية ، ويصدر القرار التحكيمي وفقا للأشكال القضائية وللمخالف أن يدرج مخالفته للقرار المخذ .

الزامية قرار التحكيم

إن القرار التحكيمي يصدر بالأغلبية (ومن باب أولى يمكن صدوره بالأجواء) .

ويجب أن يكون قرارا مللا — وهو ينطى في جلسة ملنية ، بعد النداء على الخصوم وأن لهذا القرار قسوة الأحكام القضائية ، فيكون حكما نهائيا ، وملزما للطرفين ، ولا يجوز طلب إعادة النظر فيه إلا في حالة واحدة فقط هي حالة ما إذا استجدت ظروف كان من شأنها أن تجعل القرار يصدر بشكل آخر لو أنها كانت معلومة للمحكمين ، قبل إصداره ، ويشترط أن يكون قد نص على ذلك في اتفاق الإحالة على التحكيم .

وهذه الإحالة هي شبيهة بإحدى الحالات التي يجوز فيها الطعن بقرار مجلس شوري الدولة في لبنان ، عن

(١٣) الحقوق الدولية العامة للدكتور غزاد شليط من ٥٨٩ ، والقانون الدولي العام للدكتور علي صادق أبو هيف .

فراق

⑤

آه سافرت !! غابقت جروحي وادلم الظلام في عمق روحي
وتنزي لدى الفراق فؤادي كاختلاجات طائر مذبوح
آه سافرت ! لم تودعك عيناى بدمع من مهجتي مسفوح
لم اكحل عيني بالثور اتداء ترشيتها ، شبرا قروحي

لم سافرت ؟ قيم خلقت قلبي يتنكس اسي ، يذوب هياما
يزرع الكون باحنا عنك يعدو في لهات يسابق الاعواما
حائرا ، والله كام نواري طفلها في الدجى فخرت خطاما
اين سافرت يا بحيرة آمالي علام ارتطلت آه علام ؟

كيف لم تنثري على افق رومي نفحات من الوداع الاخير
رحت .. لا بسمة تبرد آهاتي ، وترسي الضياء في دجوري
فلذا القلب صرخة رجعتها شهقات الارواح عبر الدهور
واذا الكون صفحة من دموع سطرنها رعثات قلبي الكسبي

واشقاقي ! لقد تحولت ذكرى بحضي من صميم روحي الدماء
همسك القاعم الطيرس النسي نظمه ، والفؤاد منه لفساء
وجفون نواعس أي سر في حنايا رغيها يتراى
وابتسام كاتما صب من عيس طهور ، كان فيه الساء

اي ذكرى خلعت يا بحر اهلا مي ، ويا ليل شوقي وشجوني
احنين بهز امماتي اعما قي ، غاعدو اليك كالمجنون
انحبب بؤج في غور قلبي اصراخ يقات ضوء سكوني
اضباب من الهموم يغشي مقلتي .. يا لبؤسي المشحون

كيف في لحظة تريق كؤوسي الطافحات الرؤى اكف الفراق
ويخط الزمان في صفحة البؤس سطورا عن قلبي الخفاق
آه لم ارتشف من الحب الا حشرات وانجما في الماقي
وحينا كالوج يهدر في قلبي ، ويذرو اللهب في اعماقي

سفر جبي دقاتك كومتني مزقا فوق راحة الاعوام
نظرات ، سلافة عصرتها شفاها من بسمة وكلام
ووداع كانه حشجكت الروح تسري في لجها ايامي
وغراق كانه الموت يجتاح سكوني المصبوغ بالالام

آه سافرت ! هل تعودين للقلب ضياء مخضوضر السمات
هل تعودين احتسي من سواقي مقلتيك الحياة والامنيات
هل تعودين ترزعين حنايا مهجتي بالكلام والهستات
هل تعودين ؟ ان روحي نناديك ، فعودي لولتي ، يا حياتي

غازي الناصر

درعا - سورية

عبد القادر عياش المؤرخ والفولكلوري

بقلم حسان الكتائب

فقدت سورية في الثامن من شهر حزيران ١٩٧٤ بحاجة فولكلوريا ومؤرخاً غراتيا غداً ، نذر حياته كلها للتعريف ببسطق راسه دير الزور (عام ١٩١١) وخصها بكتلانه ودراساته وجل مؤلفاته التي بلغت حوالي ١٤٠ / مؤلفا وكراسا وبحثا ودراسة ، كما أوقف على دراسة وادي الفرات مجلته « صوت الفرات » منذ عام ١٩٤٥ حتى رحيله عن هذه الدنيا . كما أنشأ متحفا للتقاليد الشعبية في بيت ضم آثارا وتحفا غراتية . ولقد كان هذا المتحف موضع اعجاب وتقدير الزوار القاصدين لمنطقة الفرات .

وإذا كان البجاعة الراحل لم يلق تشجيما في حياته . فنامل من المسؤولين في سورية ان يروهوا آثاره بعد وفاته ويثبتوا هذا المنصف رسميا ويوسموه ويطلقوا اسمه عليه .

كما ان البجاعة الراحل ترك اثرا خطيوطا هاما بعنوان « معجم الكتاب السوريين في القرن العشرين » وقد ذكر لي قبل وفاته بأنه ضم ترجمة حوالي (٣٠٠٠) كتاب عربي سوري ولقد توصلت صلفه مع الكتاب والمؤلفين السوريين عن طريق هذا المعجم ، لأنه تعرف على معظمهم لدراسة ترجمهم كما تعرفوا عليه بهذه الطريقة . ولقد مضى عليه ثلاث سنوات وهو يعد هذا المعجم . وحيدا لو عهد اتحاد الكتاب او وزارة الثقافة في القطر العربي السوري الى طبع هذا الاثر القيم .. لأنه ضم جهدا ضخما للبجاعة الراحل .. كما انه يعتبر من المراجع الهامة عن الحركة الثقافية السورية في القرن العشرين .

ولو استعرضنا حياة البجاعة الراحل لوجئناها مليئة بجلال الأعمال . فقد تخرج في كلية الحقوق بجامعة دمشق عام ١٩٣٥ وعمل في الإدارة والقضاء ، وحرس على الاسهم بنشر الثقافة في بلده فكان يلقي المحاضرات في النوادي والمتنزهات العامة ، واسس نادي « البيت الثقافي » بدير الزور سنة ١٩٤٤ وإداره ، وكان يلقي فيه محاضرات في تاريخ دير الزور ووادي الفرات .

والاستاذ عياش من هواة زيارة الآثار القديمة ، فقد زار العديد من المعالم الاثرية في البلاد العربية والعالم ، واسس جمعية العاديات في دير الزور سنة ١٩٥٨ وأنشأ مركزا للدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور بنفس

السنة ، كما كان عضوا في مركز الابحث التاريخية والاثريه التابع للمحيرة العامة للآثار بدمشق وعضوا في اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، وقد اشترك بالمؤتمر العربي الثاني للآثار الذي عقد بمعداد سنة ١٩٥٧ ، ونلقى دعوات للاشتراك بمؤتمرات الآثار العربية ونلقى دعوة للاشتراك بالمؤتمر الخامس للآثار في البلاد العربية الذي تقرر عقده في القدس بين ٣ - ١٣ حزيران ١٩٦٧ واشترك بمؤتمر الآثار الكلاسيكية التاسع الذي عقد بدمشق عام ١٩٦٩ . كما اشترك في المؤتمر الدولي للتاريخ والآثار بدعوة من الجمعية العراقية بتاريخ ١٩٧٢/٣/٢٥ وألقى فيه محاضرة واشترك بالقوة التاريخية العالمية عن بلاد الشام التي عقدت في الجامعة الاردنية بعمان بين ٢٠ - ٢٥ نيسان ١٩٧٤ وكان البحث الذي قدمه بعنوان « مشاركة المدن الغراتية السورية بالحركة العلمية في العصور الاسلامية » . وقد نظم عددا من المعارض في دير الزور ، فذكر منها على سبيل المثال معرض الصور من البلاد العربية عام ١٩٦٦ في نادي « البيت الثقافي » والثاني معرض الكتاب الغراتي سنة ١٩٦٠ بمناسبة ١٧ نيسان - وفي عام ١٩٧٢ أقام له المركز الثقافي بدير الزور معرضا لكتبه ومؤلفاته التي بلغ عددها آنذاك ١٣٢ كتابا وكراسة ودراسة كلها عن وادي الفرات وفولكلوره . وذكر اسماء بعض هذه المؤلفات التاريخية اولا ثم الفولكلورية :

المؤلفات التاريخية من وادي الفرات :

١ - بحالة عرب وفرنجن زاروا الفرات ٢ - الزاد الحضاري في دير الزور ٣ - مفاضل من الفرات ٤ - عبدالله بن طاهر حاكم الرقة ومصر ٥ - القرية في وادي الفرات ٦ - دير الزور حضرة وادي الفرات في كتبات الكتاب العرب والاجانب في العصور الاخيرة وهو آخر كتاب طبعه الفقيده .

المؤلفات الفولكلورية :

١ - الخبز في دير الزور ٢ - الحلي والوشم والتبرج ٣ - هواية الطوايع في دير الزور - البئر في حياة العرب ٦ - الامياد الشعبية في دير الزور ٧ - الفنون الشعبية في دير الزور ٨ - الآنية والمواصين في دير الزور ٩ - دياريات الفرات ١٠ - قصص من دير الزور ١١ - تقاليد الوفاة في دير الزور ١٢ - مصطلحات في لغة الديريين .

وقد أرخ البجاعة الراحل لنفسه بكتابين الاول بعنوان « انا والفرات » اصدره في دير الزور عام ١٩٦٧ والثاني بعنوان « احتميات » اصدره في دير الزور ايضا عام ١٩٧٣ وطبعته له مطبعة الاديب بدمشق .

ونقدم فيما يلي نص الكلمة التي القاها في الجامعة المستنصرية ببغداد بتاريخ ١٩٧٢/٣/٢٨ (١) خلال ايام

(١) انظر صفحة (هـ - ١٤) من كتابه « احتميات » الصادر في دير الزور عام ١٩٧٢ .

المؤتمر الدولي للتاريخ والآثار المنعقد في بغداد ٢٥ - ٣٠ آذار ١٩٧٣ حيث كان مشاركا فيه بدعوة من الدكتور حسين امين رئيس الجمعية العراقية للتاريخ والآثار الداعية للمؤتمر والمنظمة له .

وذلك لاهمية هذه الكلمة بالنسبة لنشاط البحوث الراحل في مضمار البحث التاريخي . وهي بعنوان « دور الهواء في كتابة التاريخ وحفظ الآثار ونشر التراث » :
« لست استاذ تاريخ ، ولا معلما ، ولا احبل رايا في التاريخ ، ولم اعد بحثا ولم اكون منهجا في التاريخ احرص على طرحه .

اني مجرد واحد من هواة التاريخ الكثيرين ، الذين وجدوا في القديم ، ويوجدون في مختلف البلدان .

لسم تكن هوايتي التاريخ على هامش تخصصي في القانون ، وممارستي المحاماة . وانما كتبت الى جانبها . ومنغلبة عليها . كان اهتمامي بالتاريخ ، وما تفرغ اكثر من اهتمامي بالقانون . وحتوت مكتبتي من كتب التاريخ ، اكثر مما حوت من كتب القانون .

توقفت من ممارسة القانون ، لاحتالي على التقاعد ، لكنني ، لم اتوقف من ممارسة هوايتي التاريخ وما تفرغ عنها من هوايات .

لم ينشأ حبي للتاريخ وولمي به من الفراغ ، كتبت صلتني بالتاريخ في كل مراحل تعليمي . لكنني ، كتبت انجلوز المادة التاريخية المقررة ، واقرأت بنهم في انشاء الهوايات في كتبها ومجلات في التاريخ . حتى تكلفت لنفي هذه العبادة الى اليوم .

اهتمت بصورة خاصة بتاريخ وادي الفرات الاعلى ، منطقتي — فجمعت اطلس مجلدته . واهرس على ان اهتم اطلاعي عليه وما يتصل به .

تكونت لي ، خلال اربعين سنة تجربة محدودة مع التاريخ ، في منطقة محدودة ، ذات سمات ومميزات خاصة وظروف صعبة .

تجربة اثنت ثغافتي ، وعبرت اطلاعي ، واشهرت عندي هوايات ، افاضتني كثيرا في حياتي ، كتبت وما برحت بجلا من السأم والوحدة والخلول والعنقم ، واغدت الآخرين ، وكسبت منها منطقتي .

لمن حق التاريخ علي ، ان اتوه بفضل الكبير . وباتره في حياتي ، وفي انتاجي الادبي واهتماماتي ، التي خدمت بدورها التاريخ والآثار والتراث .

هذه هي المناسبة الطيبة ، لفكر فضل التاريخ علي ، واعلان التزاماتي برد جميل بها هو اجل واوفر . ولكن ذلك باستعراض موجز لجانب من جوانب حياتي ، كعامل في ميدان التاريخ والآثار والتراث . ومشارك بهذا المؤتمر الجليل الذي يعمد في بغداد العظيمة واثرة الحضارات . واعوذ بالحق من ان اكون قصدت فخرا او مقنا ، ليس غير الواقع .

حفزني حبي للتاريخ على مواصلة القراءة لادته ، وللادب والفنون والعمارة وسائر نروع المعرفة .
الادب عندي تاريخ العواطف والاخيلة وتطور الاسلوب . ووصل الماضي بالحاضر .

اكاد انظر الى التاريخ والعلوم على انها تاريخ وكأثر . ان الحب لا يكاد يري غير حبيبته ولا يفكر بسواها . فتحت قراءاتي التاريخ — ايامي — آفاقا رحبة . رأيت في اللغة اكبر مساند التاريخ والفكر والمدينة . فلا عجب ان برز الاهتمام بدراسة اللغات ، وصار لها علوم متعددة ، يزداد الاهتمام بها من يوم ليوم .

واللغات منذ القديم . مخترن الحضارات . تتعارض العداة والاخذ من بعضها بعض ، لا تتعرف على الحدود . وتبقى لكل لغة خصائصها .

اني احب الحياة . ولقد رأيت المؤرخين المحدثين ، قد ارحوا الخليل نواحيها ، لم يفضلوا ناهية . شاقني ذلك الى تتبع تاريخ هذه النواحي ، ولولمت بالاطلاع عليه والاحتذاء به .

لم تعد كتابة تاريخ امة وفقا على المؤرخين من ابناثنا ، وانما أصبحت منذ القديم ميدانا يلجأ المؤرخون على اختلاف قومياتهم ، وفي ذلك فائدة وطرافة . حيث تتعدد وجهات النظر والآراء وبرز الصور .

مؤخرا عرض المستشرقون للتاريخ العربي ، فكان لهم فضل كبير ، فغيا نشرنا من المخطوطات العربية المحفلة ، فيها كجول ، واتبعوا من المناهج ، وما توصلوا اليه من النتائج . وقد اغاد المؤرخون العرب المعاصرون من كل ذلك . ولكل محتهد نصيب .

ان حبي للتاريخ ، لم يقييني ، فلم يجعلني ، اسمع لفرة تاريخية او لمذهب او طريقة او منهج معين . او لمؤرخين معينين .

علمني التاريخ ان اشك في كل ما اقرا . لا اقبل روايات التاريخ كما هي . وعلمني ان ارفض الروايات الضعيفة ، والمخالفة للواقع والمنطق .

علمني ان امقت التعصب للتاريخ ولكل تعصب ، وان احب تاريخ كل الشعوب ، كما احب الشعوب . وان امقت الحرب الهجومية والتعمدي والاعتصاب .

كان نمو النزعة الانسانية في عصر النهضة في اوربا ، يعود في اكبر اسبابه الى تأثير الاقبال على دراسة تاريخ اليونان والرومان .

علمني التاريخ ان اكون على الدوام طليقا ، انسانا تبتل كل شيء مع الشاعر العربي في قوله :

لذا كان اسمي من رواب تكلمه بسلامي وكسل العالين افريقي
حفزني هوايتي قراءة التاريخ ، على ان اهوى التاريخ .

بدا عندي بمحاولات التاريخ للابناء المحلية وتقاليدنا ، ولغفون ابنا الشعبي في منطقة الفرات الاعلى . منذ

أربعين سنة .

كل ذلك هيا مني فولكلوريا غرائبا مخصصا ، من حيث لم أقصد ، ولم أخرج من معهد مولكوري . ومن غير ان تعبد الي جهة بذلك . أو ان اكون ماجورا عليه .

ما لبثت ان احببت الفولكلور بصورة عامة حبسا زائدا ، وحرصت على طلب كتب فيه ومقالات ، اتفقت اثرؤها بنهم وبنمة . ولقد زودتني قراءة كتب الفولكلور ومجلاته بنماذج دراسته وطرقه وتنويعه . ويسرني بجذواه واهميته الكبرى في دراسة التاريخ والتراث والآثار واللغة وفهم حياتنا اليومية وسلوكنا ومعتقداتنا .

ما لبثت هوايتي للفولكلور ، ان اسلمتني الى هواية الآثار ، وقراءة ما وصلت اليه يدي من كتب الآثار ومجلات الآثار في اللغة العربية ، وزيارة الآثار ومتاحفها في عدة اقطار من آسيا وأفريقيا وأوربا وهو اول ما أقصد من رحلاتي .

انشأت مجلتي « صوت الفرات » عام ١٩٦٥ في دير الزور حاضرة وادي الفرات لنشر محاولاتي في تاريخ وادي الفرات ، وجغرافيته ، وفولكلوره ، واقتصاده وعمرانه ، ما زالت تصدر حتى اليوم بنفقتي فقط ، ودون ان يكون له مردود مادي . تشكل اعدادها مع مؤلفاتي التي نشرتها بنفقتي فقط من مختلف شؤون وادي الفرات : الدراسات الفراتية - اول مرة - هي المرجع لن يريد ان يعرف على وادي الفرات . أو ان يدرس تاريخه وشؤنيه .

ان هوايتي الفولكلور والتاريخ جعلتني محبها ومؤلفا ودارسا مخترا وغير ماجور .

استمت جمعية العاديات في دير الزور عام ١٩٥٨ ، ما زالت قائمة تمارس نشاطها واتمدها . وهي الثانية في سورية بعد جمعية العاديات في حلب . لا سواها في سورية حتى اليوم .

واستمت مركز الدراسات التاريخية والجغرافية في دير الزور ، عام ١٩٥٩ ما زال قائما يمارس نشاطه .

ولقد كان لي شرف المشاركة ببعض المؤتمرات العربية للآثار . منها : المؤتمر الثاني الذي عقد في بغداد بشهر كانون الاول عام ١٩٥٧ . والمؤتمر الدولي التاسع للآثار الكلاسيكية الذي عقد في دمشق صيف عام ١٩٦٩ .

تتابعت هواياتي . فما ان جذبتني هواية ، وخطوت معها خطوات ، حتى اسلمتني الى هواية جديدة . كان بين الهوايات اتفقا ، على ان لا تستأثر بي واحدة دون الاخرى . وفي الواقع ان هذه الهوايات يتم بعضها بعضا ، لا انطى من واحدة منها . اني ازيدها . ولا انتقصها .

على اني لا اقبل عشوائيا على هواية من غير ملتفة خدمتها للتراث والتاريخ والفولكلور . وهل هي متميزة ، وفي حدود امكانياتي .

لقد صارت هذه الهوايات مصدر ممتعة لي ومحور نشاط ادبي امارسه . لم اعد اشعر مع هوايتي باي سأم

او فراغ او وحدة . ازداد معها حبي للحياة .

اسمحوا لي ان اوردها شاهدا قريبا على اهمية الهوايات ودورها الكبير في كتابة التاريخ . وحفظ الآثار . ونشر التراث ، واغناء الحياة الاجتماعية .

كان اولها : هواية طوابع البريد . بدأت عندي في العشرينات ، اتخفت احوالها وكتلوكاتها ، وتبعث تاريخها واختبارها ، واتشقت علاقت مباشرة وبالمراسلة مع هواة ، وانضمت الى عدة جمعيات ونواد للطوابع .

ورغبت بنشر هذه الهوايات الجميلة في بلدي ، الذي يظن من الهوايات الجميلة المفيدة . فنشرت مقالات وكراسا عنها . ونظمت معرضا في دير الزور عام ١٩٦١ ، مدة اسبوع . كان اول معرض للطوابع تشهده دير الزور . هذه الهواية ما زالت لدي . ومجموعي الطوابع في نمو مستمر .

واولمت بجمع قطع السلاح القديم ، مما استعمله ابناء منطقة الفرات وهويت جمع الآتية القديمة على اختلاف مادتها ، مما وجد في دير الزور . والحلي الفضية الشائعة في المنطقة ، والعمى ، وادوات الصيد ، وادوات تدخين التبغ ، وادوات صنع القهوة العربية ومشربها ، وادوات الالهة الابلية ، وساعات الجيب القديمة . والاختام على اختلاف موادها واشكالها .

ونشرت في بعض هذه الاشياء مقالات ومؤلفات . هويت جمع الخطوط العربية ، حصلت بعضها . وحققت ونشرت خطوطي/، تقع كل واحدة في اربع وخمسين صفحة من الطبع الكبير . كلاهما من وائق تاريخ وجغرافية وادي الفرات الاثلي . هما مذكرات المهندس زكريا احمد وصفي زكريا ، وتقرير المهندس وجيه الجزار .

اتفقت هذه الهوايات لشكل متحف دير الزور للتقاليذ . اقتبته في بيتي وبنفقتي فقط . ولو كان بي خصاصة . ذلك انه : اذا عظم المطلوب قل المساعد . اسلست ريارته في كل وقت . لقد زاره كثيرون من ابناء دير الزور وغيرهم ، منذ تاريخ تأسيسه في عام ١٩٥٧ حتى يومنا . كتبت عنه الصحف والمجلات السورية . وورد وصفه في بعض المؤلفات . منها كتاب « اكثرا » تأليف محمد ابو الفرج العشي - يحافظ المتحف الوطني بدمشق صدر في دمشق عام ١٩٦٠ .

تشغل هذا المتحف الصغير غراغا كبيرا في حياة دير الزور الفكرية . فليس فيها ، ولا في كل وادي الفرات في سورية حتى اليوم غيره . لم يلق من الرسميين ولا من اية جهة مساعدة . مع ما للمتحف من اهمية كبيرة في الحقل السيلحي .

ما زالت اوالي جهدي وائق المال من جيبتي مع خصاصتي لرعاية المتحف . واتناء محتوياته وتنسيقها . وحسبي اني اؤدي بذلك خدمة لمسقط رأسي وللتاريخ ، سيكون من ثمار وآثار هذا المتحف متاحف رسمية واهلية في دير الزور ، وفي قصبلة وادي الفرات في المستقبل

القريب . يحتم تأسيسها التقدم الاقتصادي والحضاري والفكري . اني منذ ان انشأت متحفني ، اكتب مقالات بطلب تأسيس متاحف في قصبات وادي الفرات . والاحق من اعرف من الوزراء السوريين مطالبا بهذا الشأن .

اني اكتب في وسط متحف دير الزور للتقاليد فمسولا من تاريخ دير الزور وشؤونها يوجهها لي .

هل كان الحكماء والمؤرخون والجغرافيون والعلماء القدامى ، من مختلف الاقوام ، الا هواة ؟ فلم تخرجهم جامعات ولا معاهد . يدينون التاريخ والتراث بأكبر الفضل . قامت علوم التاريخ على مؤلفات المؤرخين القدامى . وقامت علوم الآثار على هواة الآثار . بما فعلوا من الاموال ، وما قاموا به من الرحلات ، وما نشروا من مقالات ومؤلفات . وما زال التاريخ والآثار هواية الكثيرين . كانت مجموعات تحفيهم اساس متاحف الآثار . وكانت هواية القراء والكتب ، وما نشأت اساس تقدم وانتشار الطباعة والورافة والمكتبات .

وكانت مجموعات هواة اللوحات الفنية والتماثيل والقطع الفنية ، اساس متاحف الفنون في العواصم . وهي من اعظم ما تهاخر به هذه العواصم .

وكذلك كانت مجموعات مختلفة متنوعة لهواة عبيدين ، اساس متاحف عديدة . او انها اغنت متاحف عديدة .

لم تنكر بعض الحكومات الرأية فضلهم ، فاسميت بعض المتاحف باسماء اصحابها .

كان جمع المخطوطات ، وما زال هواية بعض الناس ، نشأ عنه من صيانة المخطوطات وعلم صفتيتها ونشرها . وكان وما زال للهواة فضل جمع المخطوطات وحفظها وانكسح نشرها . الذي اعد التراث واغناه .

لقد تتابع ظهور الهواة في كل الشعوب منذ القديم . وتنوعت هواياتهم لم تنحصر في اشياء معينة . ان ظهور الهوايات حاجة من حاجات الحضارات والتطور والتقدم . فضلا من دورها الريفي وعصر التمتع . اعد منها الفن والعلم والثقافة والتراث فوائد جمة .

عندما كان الناس يؤدون معظم اعمالهم بايديهم طول ساعات اليوم ، لم يجدوا وقتا للتسلية حتى الاطفال ، كانوا يعملون ١٥ ساعة في اليوم . اما اليوم . فقد توفرت ساعات الفراغ والعمل وخاصة للتلاميذ المدارس . ولذا فان كل انسان يجد من وقته مضمعا يقضيه فيما يشاء . وكثير من وقت الفراغ يقضي في مزاوله الهوايات .

تاهت الحركة الرياضية في العالم والتي اكتسبت اهمية بالغة في حياة الشعوب على هواة الرياضة في اشكالها العديدة والمتزايدة .

واذا اعتبرنا المؤرخين المتخصصين والمحترفين جيشا نظاميا ، فان الهواة بمثابة فرق الانتصار . لهم مهماتهم واماكتهم ودورهم واهميتهم .

كان الهواة وحدهم الرواد والطليعة ، وما زالوا في

بعض المناطق ، ينهضون وحدهم بمهمة التاريخ لمناطقهم . والتعريف بها ، ودراسة شؤونها على ما هي هذه المهمة من المشقة والتكاليف والنطوع وعدم التشجيع ، الا بما ندر .

ان الحق وواجب الاعتراف بالجميل يقضياني ان اعلن ، كهواري تاريخ ومؤرخ هاو ، بانني نلت من الجمعية العراقية للتاريخ والآثار في بغداد والتي يرأسها الدكتور حسين امين بدعوتها اياي للمشاركة بالمؤتمر الدولي للتاريخ والآثار الذي دعت اليه والذي يعقد في بغداد بين ٢٥ - ٣٠ آذار ١٩٧٣ . ما اعتبره بحق اكرم تشجيع واكبر تقدير لي . اشكره لها اجزل الشكر واقدره اوافر التقدير ولا انساه .

نتنشر الهوايات المتنوعة اليوم في اوربا وامريكا ، وتنشر وسائل الاعلام اخبارها . وتلقى رعاية وتشجيعا من الدولة والمؤسسات والهيئات . ولهاجميات ونواد ونشرات . تنظم معارض ترعاها الدولة وترصد لها المكافآت المالية السخية والمستمرة . لانها تعود على المجتمع بالفوائد الجزيلة .

لا شيء من ذلك عندنا . باستثناء هواية جمع طوابع البريد . وهي محدودة جدا . تقتصر على قلة قليلة من الناس في العواصم .

لا اعرف لاحد في منطقة الفرات ولا في سورية هواية تفكر . ولم اتق على كتاب في اللغة العربية عن الهوايات . وثقلا نشر صفحتا شيئا عن الهوايات . فان هي نشرت ، فجزء صغير ينقول عن الصفحة الانجية .

ليست الهوايات ونفا على فئة من الناس . او على مرحلة معينة من العمر . وليس العلماء يبنوا منها . فقد عرفنا علماء وفنانيين شيوخ من قوميات مختلفة ، هواياتهم التي يرتاحون الى ممارستها في اوقات فراغهم ويستمتعون بها .

ان الهوايات - في ايسر وارجز تعريف - هي ان يقوم الانسان بنشاط ما فردي ، يدوي او فكري ، بخيارا ، عملا اضافيا لدات العمل ، وليس ابتغاء شيء آخر ، يمارسه في وقت فراغه . لتزجية الوقت او لتعلم شيء او للترفيه . وكل هواية يمكن ان تكون عملا اذا غرض على الانسان الا يمارسها .

ان اقتناء المجموعات من اشهر الهوايات ، واكثرها انتشارا . وكثير من الناس يجمع اشياء كثيرة مختلفة . والرسم هواية مفضلة عند كثير من الناس . وكذلك تربية الازهار واسمغال الابر ، والقيام بالرحلات ، والعزف على الآلات الموسيقية ، والخيالة ، وصنع قطع الاثاث ، وصنع الآليات الفخارية ودراسة النجوم وتعلم اللغات ، وتربية الطيور ، وهوايات غريبة اخرى .

واحيانا تنقلب الهوايات الى حرفة ، فقد يهوى انسان تربية الازهار فربما ليبيها . وقد تهوى امرأة خياطة الثياب ، فحترفها لتكسب منها قوتها . وربما تنقلب هواية الطفل حرفة يلزمها ويعيش منها .

التاريخ والتراث والعلوم الإنسانية وعلى الصحة النفسية لأصحابها .

لقد أثبتت الهويات ، وما زالت تثبت غوايتها ، منذ القديم . لقد خرج من الهواة علماء في سائر فروع العلوم والمعارف والفنون .

إن خلق حياة الأفراد من الهويات ، لا سيما في الشيخوخة ، هو مسألة الية حقا . وخلق المجتمعات من هواة هو نكية . تشهد حصول هذه المسألة وهذه النكية في مجاهيل المنتشرة في مدننا ، وفي ريفنا . والتي تفسر أعضائنا وتشلل عقولنا . وفي افتقارنا إلى الفنون وإلى الإبداعات الإنسانية ، وأنواع الرياضة وملاعبها والمسارح وأشكالها .

إننا نشهد جريمة ، لا بأساة فقط . نعاقب العامل والموظف الذي يتأخر بضع دقائق عن عمله بفرض عذر مقبول . ولا نعاقب المواطنين الذين يهدرون ساعات فراغهم ، وينتجون قدراتهم ، ويهيئون بيوتهم وأطفالهم ليتكسبوا في المقاهي ببلادة ، يحرقون أعضائهم بفسواء المقاهي ، ويتمرضون للأمراض الجسيمة والمفاسد التي انضخت من المقاهي بؤرا ويبيئت .

لا أفنا اردد بأن الهوية اعطتني شيئا كثيرا مفيدا وممتعا لي وللآخرين .

لا أنحور حياتي بغيره . هو اهتماماتي الأدبية والإنسانية المتشعبة ، ومجلتي ومؤلفاتي ومحفسي ، ورحلاتي ، وأقربائي المتنوعة المسترة ، وأنفاسي في كل ذلك من غير ابتعاد أي غرض مادي .

ولذلك أراني لازما بالعمل من أجل التبشير بأهمية الهوية لجميع الناس وحتم ، بأساني وكتاباتي ومحفي ، على أن تكون لهم هويات إنسانية متعددة . لكي يبنوا أنفسهم ومجتمعاتهم ، وليفيدوا التاريخ والتراث .

لقد أعددت دراسة مطولة عن الهويات وضروبها وأهميتها . أمل أن أتمكن من نشرها .

إنني أطالب المسؤولين عن الثقافة عنا ، والمسؤولين عن سلامة أعضاب المواطنين وصحة نفوسهم بتشجيع الهواة وراعيهم ، وببذل المكافآت المالية السخية لهم . وإن لا يتركوا وحدهم ، حتى لا ينحس الناس أشيائهم .

إن انتشار الهويات في شعب ، ورعاية حكومته للهواة ، هو أحد المعاييس ، التي نقيس بها تقدم هذا الشعب .

وهكذا فقد كان البحتة الراحل شعلة من النشاط والحيوية والطاقة الخلاقة وتدوة للباحثين والدارسين ليس في وادي الفرات محصب ، بل في الوطن العربي قاطبة .

حسن بدر الدين الكتب

دمشق - النجس الأبيض

إن الهويات إلى جانب دورها الترفيهي ، قد تحقق أغراضا نفسية وثقافية واقتصادية واجتماعية .

يقول الأطباء : إن الإنسان إذا اشتد اهتمامه بشيء ما ، كان ذلك مما يساعده على بقاء عقله في حالة جيدة . ولذلك كان الأفضل للإنسان أن تكون له هوية ، وربما ينخد الإنسان لنفسه أكثر من هوية واحدة .

حين يذهب الطفل إلى مدرسة جديدة ، أو يبحث الرجل عن عمل جديد ، مغالبا توجه إليه طائفة من الأسئلة ليجيب عليها . واجابته عن هذه الأسئلة تكشف كثيرا عن شخصيته . وهناك سؤال لا بد أن يوجه في مثل هذه الحالة هو : ما هوياتك ؟ فلقد صار للهوية شأن هام يحسب حسابه .

ليس في وسعي أن أنصرف إلى دراسة الهوية ، وتعريفها تعريفا حديثا . لأن علماء الاجتماع لم يوردوا لها بعد تعاريف . ولم تقع لي دراسات تعرضت للهويات ، مع أنها جديرة باهتمام علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الاقتصاد .

عندي أن الاهتمام بالهويات هو اهتمام بالحياة وبالناس ووقت فراغهم وهو مشكلة يعمرها علماء التربية اهتماما زائدا ، وتوليها الدول عناية كبيرة .

أتوقع أن تتناول العلوم التاريخية والاجتماعية والنفسية ، عما قريب دراسة ظاهرة للهويات . وأتوقع أنها ستحتل بمعلم مستقل ، هي به جديرة ، ينتمي إلى جانب العلوم الإنسانية ، التي ظهرت مؤخرا ، ولما تستكمل بقدر معلوماتها وترسي أساساتها وتتضح معالمها وطرقها .

سيكون لها علمائها ، يدرسون نشأها وخوافزها ، ومختلف آثارها ، ودلالاتها ، ويحيطون بأنواعها وأشكالها . سيخططون لنشرها وتاصيلها ، وسيعقدون لها المؤتمرات الدولية . كما هو شأن العلوم الإنسانية الأخرى .

لا يوجد مجتمع بلا هويات ، ولا توجد هوية إنسانية بلا جدوى ومخلوق وأثر على صاحبها وعلى المجتمع .

ينفع الهواوي غير مفرح جدا ولا مالا في ممارسة هوايته ، واشتياح حاجة في نفسه ، قد لا يتبينها بوضوح . إلا أن مردودها يعود بالنفع عليه وعلى التراث ، ما لم تكن غير إنسانية .

الهواوي في الغالب ، أوغر نشاطا ، وأشد حماسة ، وأكثر انطلاقتا من المخصص ، الذي يتيده ، ويحد من نشاطه وآفاقه الروتين ، وأداء الوظيفة والتخصص نفسه ، وما ترسم له هيئة عمله من حدود لا يتعداها .

افتمعتني تجربتي - خلال أربعين سنة - بجدوى الهويات البريئة وأهميتها وتنوعها الكبير للأفراد والمجتمع ، في كل مراحل العمر وللجنسين . وبخاصة في المراحل المتقدمة في عمر الإنسان . وبمردودها غير القليل على



الايام الاولى من شهر
الرياح الباردة ..
والشمس الهادئة ،
التي لا تجدي حرارتها

في صتيح امير الذي وافق نهاية
السنة المالية ، التي جعلتني اترك
بلدي اسوان بسحرها ودفئها ،
واحضر الى القاهرة لانهاء بعض
الاعمال بالمركز الرئيسي للشركة ...

ولم ابذل جهدا كبيرا في البحث عن
المنزل الذي انقص فيه ثلاث ايامي ،
فبالقرب من الشركة نزلت بأحد
الفنادق — بشارع ٢٦ يوليو . الذي
تطل نوافذه على مبنى أحد المحلات
التجارية ، فكلما رفعت بصري خلف
زجاجي وجدت نوافذ الطابق الاعلى
معلقة اتقاء البرد والوضوء في ذلك
الشارع التجاري الصاخب ...

وذات صباح احسست برغبة في
تناول افطاري في حجرتي ، بعيدا عن
الزلاء ... فقد كانوا جميعا من
عجائز الاجانب .. ممن لا يروق لي
مجالستهم .. او حتى رؤياهم فبدأ
يتنعمون به من نشاط وروشة
يجعلني اذوب حسرة على كرشى
— ألتزجج — ايامي مثل قرية معلقة
تهتز في كل حركة تبدر مني .. واكره
دهشتهم وتظلمهم لي عندما لا
بالفطاري في القرية ..

وفضلت تناول افطاري داخل
حجرتي عملا « بين خر من داره
قل مقداره » .. وطلعت خلف زجاج
نافذني التهم الطعام الشهى واربع
عيني .. واجول البحر بين النوافذ
المتقلبة ثم ابحت عن لمة أخرى ...
وهكذا ..

ورفعت عيني كالاعتاد .. ولكن
شيئا شد بصري وجذب انتباهي ..
فقد فتحت النوافذ المغالطة كلها ...
واطلت رؤوس كثيرة متزاحمة
تدافعت لتعني امرا ما يحدث في
الشارع ...

ورغم تبسكي بالطعام .. انتصبت
مكثي .. وما ان فتمت النافذة واذا
باصوات تتلاطم لائس تتباج

اجسامهم .. وابصرتهم نحو الثلاثمائة
او اكثر ... وامعنت النظر ...
ورحت ابحت تحتي في قلب الزحام عن
مركز الدوامة ...

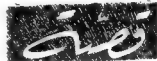
يا الهي .. انه قرد سمير ...
يقفز فتهتاج الجموع ... يروح
وبعد في اقل من مترين ، فيسبب
هيباجا ومزعا .

وقلت لنفسي لا بد انه هارب من
مكان ما ... حقيقة الحيوان او
المسرك او لعله هارب من
صاحبه ... وكان آخر ما توقعت
ولكنه ليس هاربا ، فقد رايت تحت
اقدامه في موجة عارمة اهاجت ما
حوله واوضعت ما تحته ... شيء
عزيز عليه ، بحميه وينفع من حوله
المعتدين ... نعم فقد تبينت من اعلى



بقلم محمد امسلم

ان هناك اربعة او خمسة رجال
يركلون القرد وساحبه الذي حلول
مرارا الوقتوف لحياة القرد الذي
انتن وثاقه في ممصه .. ولكن
هيئات ... فالرجال اعنى من
التنظب عليهم وتهرهم .. فقد اوسعوه
ركلا حتى بدا لي انهم لم يتركوا مكانا
في جسده الا وكان له نصيب من حذاء
احدهم ... وان تعامل تلطخ ترابها
بحذاء ذلك المسكين ، ولكنني تداركت
كلباني واسترجعت كلمة المسكين
وقلت .. قد يكون فعل غلطة نكراه



حكها في القاتون اكثر من اعدام
مما نفعمه للتفكير به بهذه الصورة
البشعة الغير انسانية ، على مرأى
ومسمع هؤلاء جميعا ...

انه بعد تلك — العلة — اصبح
الحكم عليه بالمؤبد اخف ألف مرة من
هذا العذاب الذي لم ينله فأر خبيت
حمل في ثناياه مرض السرطان ...
ومن هم هؤلاء ؟ الذين اعطوا لانفسهم
حق الحكم والتنفيذ بما هو اقصى من
اعدام .. اهم قضاء ؟ لا .. لا .
اهم من الشرطة لا .. لا اظن ولكن
ايمن ابناء الشرطة المنتشرين هنا
وهناك ؟ نعمنا تتجلى خدمتهم
للسحب ...

سحب العناء الرجل من الفراعين
سرة .. ومن الرجلين مرات ..
مطول الشارع وعرضه ... وعدت
اسأل نفسي — لماذا من احد يسمنني
غيرها — سألتها : اكل هؤلاء دون
خطيئة ؟ شرافا نبلاء من عليبة
القوم ... اهم ارقى من في الارض
وذاك من اقل المخلوقات .. ام ان
الجميع من ارقى خلق الله ... كلهم
سواء ، وهمت ارفع صوتي
وانادي ..

با خلق الله ... من منكم دون
خطيئة فليركله ... وانسا اعلم
نيلما ... ان صوتي لم يصل لاحد
وطان حدث ... فسيبتعد الجميع
مطاطء الراس ، وينصرفون متخاذلين
مبحورين ..

ولم اشأ .. واذا بامناء الشرطة
يبرزون بغطاء رؤوسهم وسط المئات
التي تضاعفت وهنا ابطلت ثورتى ،
واستقر قلبي مكانه بعد ان كاد يقفز
من حلقي ، وبدأت ابصر من حواشي
والرؤوس قد اعتدلت بعد ان
اشرابت ، وبسدت الراحة على
الوجوه .

ووجدت بيضة قد نسبتها في يدي ،
كالت ذنوب انفعالا ، فاودعتها فمي
ولم انا بهذافها ، فقد احاط الامناء
بمركز الدوامة وانسحوا للرجال
الطريق الى سيارة « بوكس » حاملين

فعشت على المجد المؤئل رائدا
على غرر قد صفت منها قلادا
يردد من سحر البيان شواهدا
وغيرك صوت كالصدى حين عاودا
وتصطاد منها ما تريد شواهدا
على ما ترى حتى تمزق خادقا
وتبقى عليها في الملمات ساهدا
ويعجز عن تطييبه الشعر راشدا
تطول فلا تلقى الكريم مجاهدا
على عهدهم بات الزمام مواردا
تفرقت الأبناء ، فيها تساوردا
على رغم أحداث البلاد محايدا

فهل كنت من غيض اللذات واردا
الى الملك ، او ترقى على الجيش قائدا
نصوغ القوافي كالقلائد هليدا
تودع اصلاها ، وتطوي فنادا
خطاك الى شيراز في الدرب صاعدا
على ارضهم جهلا اضاعوا المحايدا
وليسا على آفاقهم كان سائدا
هو العيب في عصر تكلب جاحدا

ولا رغبت نص لاديك الموائد
حكيم اذا جاء الكلام خرائدا
وكنت بها البلدان حتى الاباعدا
وتلسمو اذا صار المرام معاندا
فقد نلت كل المجد تلو الفراقدا
اليها بما تفتار فيك القصادا
يراعك ، والفكر الذي ظل خالدا
وكم حققت بغداد حلما مرادا
نلت ، فهلا قد تصيبت حاسدا
يعيش على المجد المؤئل رائدا

نجي القوافي ظل نكراك خالدا
بك الشعر في عرس الخيال مزدهي
وما الدهر الا من روائك لم يزل
وانت بها طير يهيم اذا شدا
تسام على الاحلام والخلق ساهر
وكم جاهل اغراه نيك تضاحك
وما زلت من نيك تضحك ساخرا
وجربتهم حيث الخداع نصيبهم
واناموا على الليل المباحث نومة
ولن يفلحوا ان القسوك اعاجم
فلا الشرق مسؤول عن القرب بعدما
وكل تناهى في الامارة وحده

نجي القوافي ان مسراك حافل
نزلت بارض الشام فيك تطلع
وجئت بنس جدران بعد مرارة
وباعدت كاسفورا لبغداد سائرا
وتسمى الى ارجان سيرا وتنهي
ترحلت عن قوم وكثروا كفرهم
تشاهد اصنامها على السخل ترني
وما العيب والنقصان فيك وانما

نجي القوافي ما ارتويت بنهله
فصيف اذا رقي الضيف فضلا
سميت الى الهمال وهي بعيدة
وكم كنت تشقى في الحياة ثغلا
اذا كنت لم تحصل الى المجد سلما
عقد جدت بغداد نكراك فاستمع
ومن كل قطر وانحدون يهزم
وغاؤك يا بغداد حلم مراد
خطى الالف قد احيت اباك محسد
ومن كان ذا فكر حصيف فانه

نجي

القوافي

الى روح ابي الطيب الغنبي

*

كاظم محمد حسين

*

الكوت - العراق

رجل .. امرأة . ارض الشارع قد
تنطق بما وقع عليها وشهدهته ...
ولم تدم جبرتي طويلا فقد انقذني
صوت هادي ، لرجل تمدد الخسبين ،
يدنو منه المابلين يحمل الاخذية .
كلماته اثقلت صدري واعادت لسي
عقلي .. قال : انتهي كل شيء ...
كان شيئا لم يكن ... ذهبوا
جميعا .. الرجال والقرود الذي نسل
من احدهم حافظة نفوده ... ومعه
القرود .. ذهبوا جميعا .

محمد ايام

القاهرة

جعلتني اتهم الخطوات في المر
المودي الى الشارع الكبير .
ويا لل مفاجأة .. لا اصدق
عيناى .. اين الشغب ؟ اين ؟ اين ؟
لا شيء ، لا شيء ، وقفت كالجنون بجوار
محل الاحفية اسفل الفندق ... اكل
الذي رليت حلم ؟
وجعلتني في اعلى الجنى الشاهق
لاجد التواضع هائلة وكان شيئا لم
يحدث من دقائق كاد عقلي يذهب
وراء القرود وصاحبه ... وزاغت
عيناى تبحث عن شيء .. اي شيء ..

المفلوب على امره وصديقه القرد
واطاحوا بهما في السيارة وقفروا
خلفهم واثنين من الامناء وتابوا
آخرين بتفريق الجمهور ... واتساح
الطريق للسيارات التي تعطلت وبرز
من نوافذها رؤوس سائقها في انتظار
انتشاع الضباب .. حتى يستأنفوا
السر ... ولا يهم احدا منهم ما
يحدث ..

وجعلت لحظة ... ثم اسرعت ولم
يسعفني المصعد ... فغطت الدرج
حيث صدمت وجهي نسيمة باردة ...

قبل تحليل محكما ، ثم انخرط في سلك تلاميذة المدرسة التوجيهية للنتاجم لمدة سنتين وتحصل فيها على كثير من المعارف ، كما انه حلل مشكلة هامة تتعلق بالمرونة والنمط نالت اعجاب اساتذته واستحق عليها الشكر والثناء ، كما التحق « بالبريون » واحرز منه على الاجازة في الآداب ، كما فاز بالاجازة من كليتي « العلوم والحساب » و « بالديپلوم » من المدرسة الحرة للعلوم السياسية .

وتطلع طلبة المغرب العربي الى هذا الشاب الذي فاز بكل هذه الشهادات ، وتسابقوا الى استقصاء كل اخباره ...

انطيس هو واحد من انجبتهم بلاد المغرب العربي ومن ينفي ان يفخروا به لاستقامته وجدنيه وذكائه وبعد نظره ؟

وفهمم الشوق الى التعرف على هذا الشاب الجاهلي التونسي المتيث الذي ينحدر من مدينة بنزرت الكائنة بأقصى شمال البلاد التونسية .

كانت ولادة هذا الشاب بهذه المدينة في ١٥ ديسمبر ١٩٠٦ وبعد ان تعلم بمدرستها الابتدائية ، التحق بالمدرسة الصادقية بالعاصمة وفيها احرز على « الديپلوم » ثم انخرط في سلك تلاميذة المدرسة العليا للغة والآداب العربية واحرز على كل شهادتها الثانوية بتفوق قبل ان يلتحق ببباريس .

مائلته : وتنحدر عائلة هذا الطالب الالمهي من بلدة رأس الجبل التي شهيد عن بنزرت ٣٢ كلم وقد مضى على استيطان هذه العائلة بهذه البلدة ما يقارب المائة والخمسين عاما وليس ادل على هذا من الحديث الذي افرد المورخ احمد بن أبي الصيف عن أحد افراد هذه العائلة وهو العالم الفقيه الشيخ محمد العنابي قاضي رأس الجبل في عام ١٨٤٦ عند تعرضه بالكلام عن احمد باشا الاول .

لقد ذكر هذا المورخ ان الفقيه الشيخ محمد العنابي التجأ الى مقر السفارة البريطانية وذلك عندما امر صالح شيبوب أمير عسكر غار الملح على اخذ ابني القاضي المذكور للعمل بسرابة غار الملح غوة رغم عدم علم احمد باي بهذا الامر ، اذ كل ما يعلم هذا الباي هو ان المهندسين وصالح شيبوب نفسه اعلموه وحشوه كثيرا بان هذا المرما الجديد سيكون اول مرغا في حوض البحر الابيض المتوسط .

اما والد هذا الباحث الكبير فهو السيد البشر العنابي من مواليد بلدة رأس الجبل وبها زاول تعليمه الابتدائي ثم انتقل الى المدرسة الصادقية ، وبعد ان تحصل على « الديپلوم » منها بشر العمل الاداري كترجم في المرافيات المدنية وقد ذكر مؤلف « الزهرة الخيرية » ان البشر العنابي قد تولى هذه الوظيفة عام ١٨٩٧ بجنوبه ، كما وان آخر مركز عمل فيه في نطاق هذه الوظيفة هي مراقبة بنزرت قبل ان يصبح كاتبا عاما لبلديتها .

لم يقض السيد البشر العنابي مدة طويلة بهذه البلدية



رشيد النوادي

من اعلام التونسيين

محمد علي العنابي

بقلم رشيد النوادي

لقد احتار عند وصوله الى باريس .. فاي محمد سيلتحق به ؟ ان ابناء الذوات تدجأوا من اغلب مدن البلاد التونسية واكثرهم قد اختار متابعة المحاماة ، او الطب ، او الصيدلية .

اترى ماذا يفعل ؟ يلتحق باحدى هذه الكليات واتذلك ضمن العيش الحسن والمستقبل الازدهار .. ام يفتر كلية الهندسة فيخط لنفسه اتجاهها واضحا ويهني مع ذلك الاتجاه رغم الصعاب التي ستمترسه ورغم قلة عدد طلاب هذه الكلية ؟

تري ماذا يفعل ؟

واخيرا صمم .. انه عزم على ان يلتحق بعدة معاهد كي يجرب طائفته الذهنية وينمي معارفه ، ويفترف من مناهل الثقافة العذبة .

لقد كان رائده التحصيل على المعرفة ليخدم بلاده وينفع شعبه ، اما ذاته فيكفيه ما عند والده من سعة ثراء ورفاء عيش .

تابع اولا دراسته في معهد « سان لوي » فتعلم العلوم الحسابية في هذا المعهد ، ثم التحق بمدرسة : « البوليتيك » وفيها قام بتحليل نظرية لم يقع تحليلها من

اذ سرعان ما استقال منها بسبب نشوء خلاف بينه وبين الكاهية الموضى البلدية المعروف بحب سيطرته ويطشه .وبعض احترام التونسيين بها كان الوسط الذي ينتهون اليه .

ومرت الايام كالبرق الخاطف ويقترح عليه ان يترشح للمجلس الكبير عام ١٩٢٢ وغلام لى هذا الاقتراح فانتخب كاهية لرئيس القسم التونسي من ذلك المجلس .

وحسب توصية تلقاها من زملائه قدم في ذلك العهد جنكرة الى المقيم العام الفرنسي ضمنها رغبة سكان الجهة وشوقهم الشديد لاجراء اصلاحات في الميدان الاقتصادي والاداري .

وقد اغضبت لهجة الجنكرة السلطة الفرنسية حيث اعتبرتها منافية لهمة المجلس (الاستشارية) وما يؤكد لنا هذا هو تعقيب صحيفة « الديبوش » على هذه الجنكرة بعددها المؤرخ بيوم ١٩٢٥/٢/٢٢ مما اضطره الى الرد عليها بمقال نشرته له النهضة تحت عنوان : « اظهر حقيقة » .

ان الذي ينبغي ان يستنتج كل باحث نزيه من خلال جولة مع صحافتنا التونسية القديمة هو ان السلطة الاستعمارية تهرت شعبنا بكيفية باتسى القيود ، وان يردها رادع ان هاجمت التونسيين حتى ولو كان من ابناء الفئات الموالين بعض الولاء اليهم خاصة حينما تلاحظ بعض المظاهر التي تدل على انه من بين ابناء اولئك الفئات ان ينفي ان يحل محلهم في اي ميدان كان .

وما يثبت كل هذا بوضوح انه وحتى في هذه القضية بالذات ان حملة جريدة « الديبوش » على والد محمد علي المنابي ليست المبررة لمحب بل هناك ايضا سبب خفي ايضا يتمثل في شرائه لزمرة كانت ملكا لاحدى الشركات الفرنسية .

هذه المقالة اعترفتها السلطة الحاكمة تتناهى مع الاختيارات الاستعمارية ومع القوانين الفلاحية التي سنتها وحتى مع النصوص الملحقه التي صدرت عقب لاهاء معاهدتي باردو والمرسى .

عصره : نشأ الفتيد محفوقا برعاية والده وعاش في الفترة التي تمتد بين عام ١٩٠٦ و ١٩٦٢ وهي الفترة التي عرمت فيها البلاد ضعف دولة البايات وازدياد النفوذ الاجنبي بمقتضى القوانين الجائرة والاوامر والقرارات التي عرغت في مجموعها فيها بعد باسم « النصوص الملحقه » . . لقد شاهد عملية تطبيق هذه القوانين التي مكنت فرنسا من التدخل في شؤون البلاد ومن الاستيلاء الكامل على خيرات الشعب والافتراء بأجهزة الحكم ، ويجتنب هذا امكن له ان يرى المحاولات المبذولة من طرف مفتقي بلاده للابقاء على الشخصية التونسية والحفاظ على اصالتها امثال : علي باشا حابه ، وعلي بوشوشه ، وعبد العزيز النعالي ،

ومحمد علي ، والحبيب بورقيبة ، وغرحات حشاد . كما تتبع ما كان ينشر في صحف ومجلات عصره مثل : « الحاضرة » و « الترتي » و « سبيل الرشاد » و « الصواب » و « الزهرة » و « العمل » و « النهضة » و « الحرية » و « لواء الحرية » و « المبلحت » و « العالم الادبي » و « تونس المصورة » و « الزيتونة » و « الافكار » و « الفتوة » و « الفكر » . . انه اطلع على كل ما كان ينشر وقارن بين حال التونسيين من فترة الى فترة ، فاحسب ان يكون جنديا من جند هذه البلاد يغار عليها ، ويدفعها الى الامام ، باتكابه على المعرفة ، والنزلق الى المستقبل البسام . . لقد انخرط في عدة كليات وتلقى فيها الكثير من المعارف ويز فيها اقربائه ، ثم بعد هذا شارك اخوانه التونسيين والمغاربة في نشاطهم الثقافي وتعرف على مشاكلهم وحاجيات بلدانهم .

انه عاش كل احداث عصره وتتبع اخباره وتعامل مع ابناء بلاده سواء ايام اقلته بفرنسا او في « جمعية نجم شمال افريقيا » التي انتخب لرئيسها عدة مرات او في « قدماء الساندية » لما اختير لادارتها والاشراف عليها .

كما كانت له مشاركات ذات بال ايام الازمات التي يتعرض لها الوطن فيعتمد نوات صحفية بالخارج ويعرف بقتضائها وطنه ، ويبلغ صوت بلاده عاليا في المحافل الدولية .

واتر تحقيق انتصارات الشعب التونسي مساهم بجد في كل مشروع التنمية قدم اليه فاضى عليه من خبرته وتجاربه ومعارفه على ما يؤمله كل تونسي للبلاد التي انجبته وهو بهذا الفيد يكون قد عاش كل اطوار امته وعمل في المنهج السوي الذي ارتضاه ضميره .

عاش محمد علي النعالي في فترة مضطربة شاهد فيها الشعب كل ألوان الظالم والتعديت فرائ سوء تصرف الشركات وتمتع محاولات الاصلاح الاجتماعي ، وتقوى الحركة الوطنية في شكل كسل تجبعت حول جرائد : « الحاضرة » و « المنتظر » و « المبشر » و « سبيل الرشاد » و « الرشدية » و « الزهرة » ، كما عاش فترة الومي بالزيتونة وتأسيس الجمعيات الرياضية ، وثورة ابن عمكر عام ١٩١٥ وتأسيس الحزب الحر الدستوري عام ١٩٢٠ واتبعات الحيوان السياسي في ٢ مارس ١٩٣٤ والمقاومة التونسية التي انطلقت ايام ٦ افريل ١٩٣٦ و ١٨ جانفي ١٩٥٢ و ١٩ جويلية ١٩٦١ .

ومن الطبيعي ان يثائر هذا الخلف بمثل هذه الاحداث وان يساهم بمجهود لا يأس به في بعضها كما سنبينه فيما يلي :

انه درس في عدة كليات وتحصل على شهادت جامعية كثيرة ، وقدم عدة بحوث علمية ، وشارك في كثير من المؤتمرات الدولية ، وكتب مجموعة من المآلات والدراسات المهمة في عدة مجالات علمية ، وقد استظفت هذا النابغة الافريقي انظار كبار اساتذة باريس فاصبح نبوه حديث

كل النوادي الثقافية الأمر الذي قرر بموجبه « معهد السربون » في عامي ٢٢ و ٢٣ أن يكلفه بالقاء محاضرات في كليات الفلسفة والعلوم والتاريخ فبال هذا الشرف العلمي مدى كبيراً في كل الأوساط .

وامام هذا النجاح الذي احرز عليه في هذه المحاضرات طلبت منه جامعة « السربون » أن يتخلّى عن جنسيته التونسية ليصبح أستاذاً رسمياً بهذه الجامعة حسب قانون الوظيفة العمومية الفرنسية في هذا الشأن لكنه أبى قتالا لعميد هذه الجامعة : « أني تعلّمت لانتفع بلادي لا لانتفع شخصياً ولو بأسى الوظائف في اعظم دولة من دول العالم (١) » . . ولا شك أنه عبر بهذا الموقف عن وطنية صادقة ، ومن حب عميق للأرض التي انتجته ، وللشعب الذي ينتمي إليه .

واثر عودته من فرنسا ظل يناضل في صلب جيمعتي « قدام الصناديق » و « آباء الطلبة » ويسمى بكل جهد لنبعث عقلية علمية في البلاد تكون خير باعث على رقيها وازدهارها . . أنه يفعل كل ذلك دون خشية أو خوف لأنه آمن : « بأن للثقف رسالة وقد خلق لادائها مهما كان الثمن » .

كما لم يخل بأي جهد عن الاجتباب الذين يحلّون بالوطن كلما حدثت أزمة سياسية فيتطلبهم باسم « قدام الصناديق » أو « جمعية المهنيين والفنيين التونسيين » ليخلص عليهم ما تقاسيه تونس من تهمة ظلم بلد اسنهم على هذا الموالم الى عهد الحقيم الطاغية : « دي هونكوك » الذي حل بتونس عام ١٩٥٢ .

نشاطه الاجتماعي : لقد ساهم الفتيّد محمد علي العنابي مساهمة فعالة في عدة مشاريع اجتماعية وثقافية سواء بباريس أو بعد عودته لتونس وقد ابتداء عمله الاجتماعي هذا حينما التأم مع جموع الطلبة المغاربة بباريس أيام فراسته هناك ، فكان يتصل بهم ويعمل معهم في ميادين الثقافة والمعرفة ، ولعل من أبرز مظاهر مساندته لزيارته الطلبة مشاركتة في تأسيس جمعية « طلبة شمال افريقيا » بفرنسا عام ١٩٢٨ فقد ساهم في بعثها ثم كان عضواً عابلاً في مجلس ادارتها .

وقد قلعه واجبه الاجتماعي حينما انتمى الى النقص الموجود في عدد الطلبة التونسيين الذين يتلقون الدراسات الفنية بمعاهد فرنسا فقام بعمل كبير واتبع الكثير من هؤلاء لكي ينخرطوا في كليات « الهندسة » و « الميكانيك » و « المعادن » ، ولم يكتف في هذا الشأن بالاتصالات فحسب بل تجاوز كل هذا فمشر تحريضاً في ثغرة الجمعية في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ناشد فيه الطلبة لكي يقبلوا على هذه الاختصاصات وينفذوا نوحها .

(١) محمد الصالح المهدي : ١٨/١٩٢٢ جريدة الصباح .

واثر عودته الى ارض الوطن استأنف هذا النشاط من جديد ولكنه ليس في « جمعية طلبة شمال افريقيا » هذه المرة بل في جمعية أخرى هي جمعية « قدام الصناديق » .

ومن العلوم ان هذه الجمعية بمذ ان تأسست عام ١٩٠٥ على يد المرحوم علي باش حابيه : (١٨٧٩ - ١٩١٨) الى عام ١٩٢٠ اقتصر عملها على القاء بعض المحاضرات ، وانشاء مكتبة صغيرة ، والتبذل بعض الوفود العلمية ، كما ان نادياها الابني كان نشاطه هو ايضا مقصوراً على تونس العاصمة فحسب فلم يتجاوز هذه المدينة قط سوى مرة واحدة قام فيها برحلة الى سوسة عام ١٩٢٥ حيث انشا هناك فرعاً لهذه الجمعية ، فلما باش محمد علي العنابي رئاسة هذه الجمعية عام ١٩٢٦ ، غير هذا المنهج ، وحدث ثورة عظيمة بها . . انه قام بتشريك بقية طبقات التلاميذ بمختلف المعاهد العلمية مثل جامع الزيتونة ومدرسة اللغة والآداب العربية ، كما جعل من هذه المنظمة مركزاً من مراكز الإشعاع الفكري ، فقامت في تلك الفترة بعدة اعمال في مختلف ميادين الحياة التونسية ومنها الميدان السياسي وتمثيل ذلك في المظاهرات التي كان يقوم بها الطلبة عندما يصاب هذا الشعب بتكتلات الاستعمار كنفى الزعماء أو ابعادهم أو ايقافهم في السجن (٢) .

كما وجه هذه الجمعية نحو اعداد الاطارات العلمية والثقافية والفنية خاصة فيما تحتاجه البلاد من اختصاصات في العلوم العلمية يقوم الاطارات المخرجة من التونسيين مخام الفتيين التونسيين .

والتفت الآلة حول هاته المنظمة فكان ميد المعلم ، وكان نمك شهر الطالب ، وكانت الاعائن والتبرعات تعطى بسخاء لأولئك الذين تغربوا من أجل العلم (٣) .

لقد شاهد كل من كان ينتمي الى هذه الجمعية او ينسب اليها من بعيد ان روحاً جديدة تسري فيها ، وان عملاً هادفاً تواجم اعداد الاطارات الفنية للبلاد يفرز نشاطها للاسهام في معركة تنمية طاقات الأمة ودفعها نحو التحرر والبناء .

فكان انشاء النوادي التالية مثل : نادي البحوث الفلسفية والاجتماعية الذي يراسه بنفسه ، ونادي الشؤون الاقتصادية الذي يراسه المرحوم الطاهر صفر ، ونادي البحوث التشريعية الذي يراسه الأستاذ الهاشمي السبعي ، بمثابة الركائز القوية التي دعمت عمله الثقافي هذا ومهتت اليه .

كما ان المواضيع والدراسات والبحوث التي وقع الخوض والنقاش فيها مثل : تطور المذاهب الاقتصادية ، ونظرية التقدير وتطور القوانين ، والاسنان والقانون ، وتأثير التطور الفكري على التطور الاقتصادي ، وصلة

(٢) راجع مجلة الندوة ١٠ ، جلفي - فيفري ١٩٥٧ .

(٣) راجع مجلة الندوة ١٢ ، جلفي - فيفري ١٩٥٧ .

الروح بالجدد ، والمعرفة ، وتوانين الصحافة ، بمثابة المنابر الحرة التي يلتقي فيها الطلبة برجال الفكر والعلم في تونس قصد استنماء كنه المعرفة والتعرف على مدى نضج الفكر في تونس وقدرته على توجيه الرأي العام نحو العلوم التقنية التي تحتاجها البلاد .

اذن فالذي يمكن ان نستنتج من خلال الجو الفكري الجديد الذي شغل في ارجاء نادي « قدام الصافيتي » وفي فكر كل من كان يؤمها في تلك الفترة ، هو ان محمد علي العنابي مثقف ملتزم للمواد التقنية والعلمية وقد فكر كثيرا في الفئس الذي تشكوه البلاد مدة اقامته ببائيس في العلوم . وفي الاطارات الفنية غاراد ان يخلق جوا علميا ومجموعة كبرى من الباحثين والعلماء لكي يساهموا في توجيه الفكر التونسي وجهة علمية وفلسفية غضاب حصيلة جديدة في سلم الثقافة التونسية تنهل ايمانها كل المضايقات التي كانت تسنها السلط الفرنسية آنذاك .

ولم يقتصر نشاطه الاجتماعي عند هذا الحد ، اذ ساهم ايضا في جمعية « احياء الطلبة » التي تأسست لجمع الاعائات والبرعرات لفائدة التلاميذ المعوزين الذين ليس في اماكنهم تحمل اعباء ومصاريف التعلم في الخارج وكان يعاضده في ذلك المرحوم الدكتور محمد التلاطي رئيس هذه الجمعية .

ومن لا يثني على هذا المفكر حينها يتذكر مساهمته الخاصة وجهوده العظيمة لاعانة طلبة اثر تهاطل نشاط الجمعيات على اثر حوادث ٩ افريل ١٩٤٨ . فقط بقل العقيد محمد علي العنابي جبودا عظيمة في سبيل اعانة الطلبة فنظم نصف شهر الكتاب لاعانة الطلبة وفتح اكتتابا لفائدتهم بداية من غرة مارس سنة ١٩٤٦ ، ولما اتسع نطاق عمله في هذا المشروع في عام ١٩٤٧ طبع بطاقات باسم « يوم العلم » وزعت في كابل الجمهورية بمساعدة المنظمات القومية .

محمد علي العنابي .. المصالي : لقد جاهد محمد علي العنابي من اجل خلق نهضة علمية في بلاده ، وضى سنوات عديدة لبثت هذه النهضة .. انه ابتدأها منذ ايام اقامته بفرنسا واثناء تعليمه في « السربون » غاراد ان يهيء لهذه النهضة جيلا من الشباب المثقف ليتعلمند معهم من اجل تحقيق هذه الامة .. هيا لهذه النهضة اسباب الانطلاق اولا بفرنسا اثناء نشاطه في « جمعية طلبة شمال افريقيا » ثم بتونس عند رئاسته لجمعية قدام الصافيتي على اثر عودته لتونس .

لقد شاهد المهندس محمد علي العنابي ما يعاينه المثقف التونسي من امتهان وحارة من الاجنبي رغم اهمية الشهادت التي يكون قد تحصل عليها للاستثمار يتف حائلا لكل تومني ويحارمه بكل سلاح .. وهذا ما حدث له

بالذات ، فعند عودته الى تونس بدل ان يجد مكانته في المجتمع كيتقن يحفل شهادت جامعية كبرى الحق بادارة الاشغال العلية كموثف بسيط نقابات الصحافة التونسية بضجة كبرى في هذا الشأن(٤) وفضحت سياسة المستعمر ، وشهرت بفنعت مدير الاشغال العلية الذي لا يحفل شهادت عليا كما يحفلها المهندس : (محمد علي العنابي) .

ولم هذا الجو المهرج صخر الامسر المورخ في ١٩٢٢/٧/٢ يقضي بتشريك المثقفين التونسيين في الوظائف السلبية لكن طبق رغبة مديري الادارات من الفرنسيين فقبل العقيد هذا الحل المتقوس ، وبموجب هذا عين مهندسا مساعدا لرئيس مصلحة الخناج وفتح الباب لاول مرة للتونسيين منذ الاحتلال عام ١٨٨١ .

لكنه وعلى الرغم من هذه المضايقات التي اصطدم بها ظل صابرا وواجه الصعاب مرباطة جاش وشجاعه نادرة .. فاعوق حياته في خبطة مشابيح بلاده وخاصة الثقافية منها ونشر عديد البحوث الفلسفية والعلمية في كبريات مجلات العلوم في شتى البلدان بل ان اغلبها كانت تتسابق اليه لينشر فيها بحوثه وتعليقه وآراءه ، ولعل من اهم البحوث التي نشرها بحث طويل حول : « استعمال الفرة في الاغراض السلبية » ، نشر هذا البحث على اثر انفجار قنبلة « هروشيا » التي اطاحت باليابان .

لقد فعمه شعوره الانساني الى التمسير بهذه الجريمة والى اعطاء الطلبة اللشيرة لكي تستفيد من الفرة في الاغراض السلبية .

وقد بلغ بفضل هذه الحراسات قمة المجد العلمي فعد من اعلام الفرة ومن مشاهير المهتمين في العصر الحديث .

ولكي يزيد من انتاجية عمله الهادف هذا ، انخرط في الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي كان مقرها مدينة « ميغا » عاصمة النمسا بصفة شخصية .

وابتداء من ذلك التاريخ دهش العالم بما وصل اليه هذا المفكر من سمة معرفة في ميدان الابحاث الذرية ، ونتيجة لهذا كانت فرنسا تافخر بما يقدمه هذا البصري من موضوعات ودراسات تمحور ذلك الى ان الفضل فيه يعود الى المهندس محمد علي العنابي من خريجي مدارسها وقد توافست انه يحظى عدة لغات وان كذاه ونظنته مما من اسباب تقوته وتضلعه في هذه الابحاث .

تسلطه اثر الاستقلال : وائر حصول تونس على استقلالها عام ١٩٥٦ انتفع العقيد في كل عمل راي فيه نفعا لمواطنيه اتفاداعا لا نظير له وبالاخص في ميادين الفرة والتكنولوجيا .. فقد سعى الى تشريك تونس في « الوكالة الامة للفرة » وحضر مؤتمرها المعقد « ببينا » في اكتوبر ١٩٥٧ ، فاطلع على وضعها العام وقدم تقريرها هاما لاتجاح

في دوى بنغازي

وسنا الصب نوره غطاها
وصحا الشوق في الحشا غشاها
عاشقا ايلها محبا ضحاها
يوم جالا باضح في سماها
يودعان الاسرار في اولياها
في سكون الزمان قد تركاها
في هواها مضيعا في رباها
كالجبن سكرة وانتباها
وانتافا وصحوة وانتباها
سحرتني بحسنهن نساها
بقلوب شبها اسراها
في حنايا الزقاق ما احلاها
وجراح العيون لا اتساها
قمر الصب والهوى اضواها
كالسواقى تسيل في مجراها
روح شيخ بمقتلي اراها
بالشريف (الزوام) سبع حباها
ومعيني وهوني في هداها
وهنتي الى السماء وعلاها
اي نشر يضوع من براها
صلاح الدين جبريل

حي « بنغازي » والهوى بهواها
قد اتى الحب في عشية يوم
فعيوني مكحولة بسهاد
ملكين رايت جاءا حلالا
ببعثان الجمال والصحو نجاها
يصعدان السماء والارض تطوى
وصرفت الفتن صبا مشوقا
وذرفت الهتون لا ادمعات
وانتافا وبسطة وانتافا
وجفاني الرغاق فردا معنى
قاتلات بالحظ او عابثات
نظرة من خريدة تتفنى
يقظة الحس يقتلي حيرتي
وسرى السود في القلوب مشعا
اجر يا ماء من عيوني شئونا
غنم الغيب قيد اطلت هياي
تسد تجلى للشريف غوثا ويكى
هو كنزى وعدنى وملاذي
هو روح كبيرة نورني
اي سر من روجه يتجلى
بنغازي - ليبيا

الادارة وجلب لها المخابر والمعدات لكي تقوم بدورها في تنمية الاقتصاد ونشر بحوث السيطرة على المناخ مقبول عليه هذا بالاكابر والاجلال وبقي في هذه الوظيفة الى ان توفي يوم ١٩٦٢/٤/٤ ودفن بتونس .

وهكذا قضى محمد علي المناهبي حياته في الانكباب على المعرفة والتضلع فيها ، ثم في نفع مواطنيه في عدة مشاريع تحمل مسؤولياتها ، ورغم المظالم التي لحقت به من جراء الاستعمار فقد صبر وتحمل المشاق في سبيل خلق « عقلية علمية » تماشى ملتزما لهذا الهدف الى ان فارقتا الى دار الخلد .

رشيد النوادي

بنزرت - تونس

عمل هذه « الوكالة » ، كما بلغ احتياجات تونس لهذه المنظمة في ميدان الطاقة ، كما نادى في عام ١٩٥٨ - وفي مؤتمر هذه الوكالة بالذات - بان تونس في حاجة اكيدة للحصول على مساعدات دولية لتستطيع مواجهة حاجياتها الاقتصادية .

واثر هذا كلف باتشاء مصلحة للابحاث العلمية والطاقة الذرية وترأس عدة وفود تونسية في مؤتمرات دولية للذرة ، مثل مؤتمر عام ١٩٥٨ الذي انعقد في شهر سبتمبر « بفينا » .

وعلى ضوء هذا النجاح الذي احرز عليه في المؤتمر الثاني للذرة عام ١٩٥٨ اختير لادارة « كوميسارية الطاقة الذرية بتونس » التي تأسست سنة ١٩٥٩ وقد ركز هذه



رسم قاسم كيلاني

الشاعر قاسم مظهر

بقلم رسم قاسم كيلاني

هل اذا مت ووريت الترابا وميت رومي الى حيث المظود
هل ارى في القبر ذلا وعذابا مطلقا كانت حياتي في الوجود
قاسم مظهر

في ٢٨ يونيو ١٩١٦ وفي ليلة النصف من شعبان ولد شاعرنا المرحوم قاسم مظهر في حي الخليفة بالقاهرة من أسرة تمتد جذورها الى الاصل العربي والتركي ، واكثر اجداده تقلدوا مناصب كبيرة في الجيش ، وكان منهم طاهر باشا مظهر الذي كان محافظا بالاسكندرية ، و ابراهيم بك مظهر الذي كان قائدا للبحرية في عهد ابراهيم باشا ، ووالده المرحوم محمود مظهر من محبي الخط العربي ، وشقيقه المرحوم عبد الحميد لطفي مظهر الذي كان استاذاً بكلية علوم جامعة عين شمس ، ورغم حصوله على اكبر درجاته العلمية من جامعات لندن كان محبا للشعر ومن نظميه وقد اسمع في الحركة العلمية بالكثير من مؤلفاته التي قامت بطبعها وزارة التربية والتعليم ومؤسسة فرانكلين . وكان عمه المرحوم امين مظهر مديرا للطبوعات وشاعرا من الشعراء البارزين في عصره وكان يقدر شعره الشاعر محمود سامي باشا البارودي ، وخاله احمد زكي الكاشف من كبار المهتمين بالمبارزين ، وكان كتابا روائيا ، ومن حبه للادب اصدر

جريدة (الوفاء) التي لم تستمر طويلا .
التحق شاعرنا المرحوم قاسم مظهر بمدرسة السلحدار الابتدائية ، ثم بالمعارف الثانوية ، ثم بجماعة عين شمس حيث حصل على بكالوريوس التجارة .
وقد تقلد عدة وظائف مختلفة ما بين وزارة الحربية ، ووزارة الارشاد القومي ، ووزارة المالية ، واخيرا وزارة التجارة (وكالة الوزارة لشؤون البحوث الاقتصادية) .
ورغم اتجاهه الواضح نحو دراسته العلمية فقد شغف بالادب الذي ظهر على مسرح حياته ، وسامحته على الانتماء في الاوساط الادبية مجموعة كبيرة من الرواد الاوائل الذين كان لهم الفضل والاثر الطيب في توجيهه ، وتقنيته ، فقرأ الادب الاتباعي الاصيل على ايدي الاساتذة الاجلاء المرحومين : كميل كيلاني — محمد صادق عيسى — الدكتور زكي مبارك — طه حسين — عباس محمود العقاد ثم الشيخ حسن القايتي الذي رواء من منبع الادب العربي والذي كان يعرض عليه شعره لينقحه وليهديه سواء السبيل .

نشر شاعرنا المرحوم قاسم مظهر شعره في اكثر الصحف والمجلات المصرية والعربية خلال الفترة من ١٩٢٤ — ١٩٧٤ وكان من بين هذه الصحف والمجلات التي اهتمت بنشر قصائده الشعرية :

- جريدة الاهرام في عهد الاستاذ انطون جبيل
- جريدة للجهاد في عهد الاستاذ توفيق دياب
- جريدة روز اليوسف في عهد الاستاذ عباس محمود العقاد
- جريدة الوادي في عهد الدكتور طه حسين
- مجلة الثقافة في عهد الاستاذ احمد امين
- مجلة الثقافة الجديدة في عهد الاستاذ محمد غريمد ابو حديد
- مجلة الثقافة الشهرية في عهد الدكتور عبد العزيز السنوسي

— مجلة الرسالة في عهد الاستاذ احمد حسن الزيات
وكذلك مجلات : المتكف — ابو الهول — الصباح — الرايون — الشعر — الاديب (البنائية) — الجديد — منبر الاسلام — المسلم — البيان .

لما بالنسبة للاقامة سواء المسبوعة او المرتبة فقد بلغت مقطوعته للفنانية اكثر من خمسمائة اغنية تفتى بها الكثير من المطربين والمطربات في عصرنا هذا .

وفي عام ١٩٥٠ صدر لشاعرنا قاسم مظهر ديوان (حفيف الغابة) بمقدمة لتفيد القصة العربية الكاتب الكبير محمود تيمور نجتزء منها هذه النبرة :

« ان من كسب الشعر هذا الديوان الذي يقنيه الشاعر الاديب قاسم مظهر غاذا قلت انه ينحو في كثير من طريف موضوعاته منحنى التجديد في الشعر فائق على حق ، وان قلت انه شعر عربي صريح العروبة في مثالة نسجه ولطف اخيلته وشغوف معانيه فلست تجانب الحق .

وانت على أية حال مستمتع بما ييسط لك من عواطف رقيقة تنتقل بك بين الوجد والطرب ، فتجد للشاعر تعبيره ، وتلقاه شعوره .

وبهذا الديوان استطاع قاسم مظهر بجذارة ان يقف في مصاف كبار الشعراء ، كما له أكثر من سبعة دواوين مخطوطة معدة للطبع تمثل طاقته الكبيرة فيما أخرجه من عشرات القصائد التي تتناول عدة موضوعات مختلفة وفي الحقل الإسلامي ومحيط الأسرة التي تتكون من ولدين وسبع أبنات .

وقد قام شاعرنا قاسم مظهر بكتابة عدة مقدمات للمؤلفات الشعرية والزجلية منها مقنية (حيوان الاسمر) ، و (الشراة) الشيخ الزجالين عبد الفتاح شلبي وغيرها .

كما اسهم واشرف في تقديم الكثير من النوات الأدبية منها : جمعية الأدباء - نادي القصة - الرابطة الإسلامية - العشيرة المحمدية - ندوة القبائل الأدبية - الشبان المسلمين - الشبان المسيحيين - رابطة الادب الحديث - هيئة خريجي الجامعات .

وتوفي الى رحمة الله في ١٧ من رمضان ١٣٩٥ هـ - ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٥ م .

مختارات من شعره : وفيما يلي نقدم بعض القصائد والمقطعات الشعرية لشاعرنا قاسم مظهر الذي امتاز بهنئة الأسلوب الأدبي من حيث الجذالة والإمالة والبناء الكثير من الانماط المجولة ذات الدلالات الطيبة ، كما كان شاعري النفس ، شاعري التعبير ، حصاد الإحساس ، مرهف العاطفة هكذا قال فيه « محمود تيمور » .

الى فنانة

هبت قبلة الفرام وغشي اغنيات الهوى مروحي لبيك
داعبي الصود بالحنان ليسمو بضاد يعجو ويهفو اليك
داعبي القود يا منى القلب حتى تروني القس من جمال بيك
داعبي الصود بالحبابة فضاء عبقري يغشى من شجيت
كل لمن سمعه ما شجاني فسر لمن يلوب من اصبيك

لقا خلف

ظفرت برؤياها على غير موعد فسلمت لكن لي نردود مجهود
واقامت نفسي كي تقوم وجهها فكم نستطع صبرا وجبت نجدي
واطرقت مما رايتي خرف نقرة ضير خلفي القس بعد التهدد
ولفت على فني يصره الاسى فتردد خلفا ويسقط في يدي
وما جيتي والحب ليس ينطو وما جيتي والحب ليس يهدد

هذي الحياة

هذي الحياة سفين غسل رائدها ووجهة نيت في ظل اشجان
لا تستقر على حال فتنبها كلها كرة في كسف نضوان
والكون يمسا ترائي في بياضه فكم صورة من حكم سكان

احسى

اخى ما قية الدنيا وفيها كل مجروح
شقي كل من يحيا اسير القتل والروح

وفي ١٩٧٣/٨/٢٥ عقد الادب العربي الأستاذ محمود تيمور الذي كان صديقا حبيبا لشاعرنا الراحل ، قتال فيه مرثية طويلة بعنوان (حمة وغاء) نشرت في مجلة (الجديد - اول اكتوبر ١٩٧٣) تقتطف منها الابيات الآتية :

قضت السماء بان يغرق جيمنا « بحونا » واستشهد الصباح
عبر السنين مما ترائى جوده يوما ولا ميل الصعود جناح
خط الكثير من الروائع وحبه وتماره طابت بها الانواح
والى البيان قديمه وجيده وله على من السحاب ابراح
يهوى ويؤثر كل لغة بترق ول على رصيفه الصباح
قد كان « محمود » العظيم نموذجا والصدق من صمعاته ينداح
افضى القلوب سودة ومحببة بغدي به صفو الى وسراح
يسا للقراب يقسم تحت لوانه هذي الشمائل والشذا نواح
هيهات يا هذا القراب نروعه ورصيده فوق السنا ارباح
افضى الخلود على الخلود منه وجهه على اسفل الهوى وضاح
هذا القرات وانه عند الحصى قيم على شفة الحياة مصاح

نعت دموي كل يوم ننازع والموت لدا بنا روح
لي كل يوم راحل عن ديفا لم يبق بعدد على الظلام صباح
عش في جوار الله واسعد منه سلاما للواصلين صباح
واحد حبيب المر واغم هاتنا بتصبيك المأسور فهو رباح

وبينائية الاحتفالات بالذكرى الثانية لمعركة اكتوبر العظيم ضيف الى مكتبة دار الشعب ديوان (مصر اكتوبر) يضم تسع عشرة قصيدة لشعراء العرب المعاصرين من بينها قصيدة لشاعرنا الراحل قاسم مظهر بعنوان (بطل سيناء) تقتطف منها بعض الابيات التالية :

يا ايها الهندي انك الهادي اهل تكل مطد ومجد
ان شئت اسلحه القمار فخذنا ترسي فخذ كل قلب انك
وعلى يدك التور ملوان الضي لتساكن وملكه القندي
كم خفت لي الماضي المعيد معاركا واليوم فخذنا بالفضاء الارشد
واجعل صدوك للذي فخرنا واسك سبيلك لانه الواحد
نأكل في شرف الجهاد موسى والكل يحس مسبح وموجد
ان الفناء عن البلاد امانة ومحبتهما بشجاعة وتجلد

وحسبي من كلمتي هذه المختصرة ان اكون قد وفقت في عرض بعض الجوانب من حياة فتيان العزير الشاعر قاسم مظهر مع تقديم مختارات من شعره ذات اللمسات الشاعرية الراجعة ، وهذا غير ما تركه من المخطوطات العديدة المعدة للطبع من شعره ، ودراسات مستفيضة للشعراء والأدباء ، وكل ما كنا نأمل ان نراها مطبوعة قبل ان يودعنا ذلك الوداع المحتوم .

طابت ذكراه .. واسأل الله ان نلتقي واياه على الايمان واليقين .

القاهرة

رستم كيلاني

الخاطبة ، والسنون نكر وتفر حتى
شارفت على الثلاثين من عمرها ولم
تزوج ..

هزت نجوى رأسها لتبعد تلك
الخواطر القبيحة ، ونفت شيطان
الشّر في صدرها برغبة منقطعة
للانتقام .. تستعرض في رأسها كل
الوسائل والطرق بحثا عن ثغرة ينفذ
منها سبها الزكاف الى جسد الحياة
الجديدة بين ليلي وشعبان ، وغداة
برز في ذهنها ما سمعته عن المرض
الذي أصابه .. قالت متوجبة
بحديثها الى عايدة :

— هل برا ابن عيك شعبان من
مرضه الذي قيل انه معد ؟

قالت عايدة في سذاجة الريفية التي
لم تزل أي قسط من التعليم أو الثقافة،
ولا أقل القليل من الوعي :

— برا والحمد لله .. وان كان
المرض يفتأه اذا تعرض للبرد الشديد
او الحار الشديد ..

مستكين .. كان على شفا الموت
لولا عناية الله ..

نقلت ليلي عينها بين ضيفيها وعلى
لسانها يقف سؤال أخرس تود النطق
به .. لكنه بدا ملتبسا بلسانها
اللسان شحيذا .. اخذت انفسها
تتلاحق ، ونبتشات قلبها ترتفع ،
وتدوي في الخواء الذي ملا رأسها ..
نظرت ليلي الى الزائرين في غضب
وثورة .. انتابها نوتر عنيف ..
توشك ان تطرد ضيفتيها وتصب فوق
رأسهما غضبا .. تدلها برغبة
أخرى السى الصراخ بالنداء على
شعبان .. تريد ان تعرف منه كل
شيء عن نفسه .. شعرت بالدوار
وهي تستعيد ما سمعته وكان دوامة
عنية تدور وتلفي بها في غياهب
الهوية ..

هبت واقفة .. تبعته نجوى وعائدة
الذين قبلناها قبيلات النفاق والكذب ..
شيعتهما حتى باب القاعة ..
استدارت عائدة الى مجلسها وألقت
نفسها في انهالك وارهاق ..
دخل شعبان ورآها منكفة على

يذلها وبهينها ويرى نفسه كبش الفداء
الذي لولاه لما تزوجت ، ولما وجدت
من يتزوجها .. ولظلت عاشا حتى
الآن مثل نجوى ..

مصصمت عايدة شفيقها وهي ترقق
نجوى ، والكلمات تسقط داخلها :
« كان المتعوس أولسى بلحمه
ودمه » ..

نظرت نجوى الى عايدة وهست
في نفسها : « ها هي ابنة عمه تنتقم
منه على طريقتها الساذجة ، وكل
اهل البلدة يعرفون كم يذل ابوها ماء
وجهه من أجل تزويجها من ابن
أخيه .. شعرت بمشاعر افتخار
وعزة لم تلبث أن ماتت .. كنت تود
ان تكون قصة رفضها لشعبان مثار
فخر لها على مدى الأيام لو تزوجت ..

انتقام عانس

بقلم جمعة محمد حمزة

لكنها تأسف لعدم زواجها حتى الآن
واعتبار اهل البلدة رفضها لشعبان
منذ سنين طويلة تمردا ثلث عليه
جزاءها بأعراض كل راغبي الزواج
عنها .. تشرم بالرفيعة في الإطباق
على عنقه وخنقه اذ خيل اليها ان
سوء الحظ انتقل اليها بالمعدوى ،
وقد بذلت أمها المستحيل لفك
عقدتها .. صحبتها معها تجوب القرى
والنادر الى المشايخ ، وامتلا صدرها
بالاحجية والتبائم ، ولجأت الى

منذ جلست نجوى وهي ترقق ليلي
بنظرات الحسد والقدرة ، ومشاعر
الحقد تنور في قلبها .. تسمح بعينها
بقايا الزينة العالقة بوجه ليلي رغم
انها بقايا زينة الا انها اشدت على
وجه ليلي جالا يشد الانتباه .. ربما
من سحر المناسبة — خاصة —
بالنسبة للفتيات فهي ليلة من ليالي
العمر التي تتوق كل فتاة اليها ،
وتنظرها بفارغ الصبر ، وربما لان
ليلى دون زينة تتمتع بجمال هاديء
اصيل حبتها به الطبيعة من حولها ،
وربما لان التناقض في موقف حساس
كموقف الامس .. اصاب دهبها
بالتجمد ، على لونه الاحمر القاني ..
التناقض الذي انتفض فيه الدم
تسوان بالسمادة ، وانتفض نفس
الانتفاضة شعورا بالتمسكة .. كان
الموقف عصيبا للجميع .. فلا التهاى
تليق بالغلام ، ولا المواساة ايضا تليق
به .. احتارت ام ليلي حيرة عايدة
في مكان آخر من الدار .. هل تقدم
للزائرتين الشربات ام تقدم لهما
القهوة السادة .. ؟

هزت عايدة رأسها ، لا تدري هل
تقول لعروس ابن عمها : « ألف
مبروك وعقبال الزفاف » أم تقول كما
سمعت من افواه بعض الذين شاهدوا
الحادث : « تسدر ولطف .. كانت
الرصاصة تستصيب شعبان في
رأسه » ..

لكن الصمت لسم يدم طويلا ..
فالنساء غنائات في اختلاق مجالات
للزئرة — بمناسبة ويذون مناسبة —
اخذت عايدة تنقل مشاعر زوجها
رجب الى ليلي .. تصف كيف أصابه
الحزن فلم يتناول عشاءه .. ولم
يغض له جن طوال الليل .. يتقلب
في فراشه .. يضرب كفيه مندحشا
بستغرابا .. ومن خلال كلامها لمحت
الى تهكم أمها عن شعبان ، وعن انه
طوال عمره منكود الطالع .. يلزمه
سوء الحظ .. لولا ذلك لتبلى زوجة
له بدلا من رجب الذي استحوذ على
كل ممتلكات أبيها .. ومع ذلك فهو

قصّة

الملاح والعاصفة

خردد الاصداء قهقهة الرجود
والباس الملاح
يسال ما المصير
واليوم تعزف غوته للحن الآخر
وشراع قاربه التعس ممزق
كلواء جيش خاسر مدحور
وقفت يدا الملاح عن تجنيها
ورنا اليه الموت من بين التبور
وطنى عليه الماء بعد ضياع قاربه
فهوى الى الاعماق
بعد افول كوكبه
تخلقه جحافل الاسماك
في شوق كبير
عمان — الاردن رياض العزة

تتقاذف الأمواج قاربه الصغير
ويداه بالمجداف تضرب
دون جدوى
فالحبر حين هياجه وحش خطير
وعليه مهما اشتد لن يقوى !
والجو اصبح مكفهرًا وجهه
والليل جاء فضايف البلوى
يا ايها الملاح يومك عاصف
ويد الطبيعة بأسها عات شديد
والريح تزار في الفضاء كنهها
قطمان آساد نغر من القيود
وتسوق ارتال الفيوم امامها
كالثقل المنصور يزحف بالجنود
والبرق يتحمم الظلام وميضه

دق الارض بقديمه وانفج خارجا
من القاعة .. اسرع دون ان يلقي
بالنجية على حماه الذي هب خائفا
وهول وراءه مناديا عليه :
— استاذ شعبان .. شعبان ..
لم يلتفت شعبان وراءه .. ظل
على اندفاعه كقرص جالبح .. لكنه
يدرك انه سيقتل حتما من تلقاء نفسه
ليعاود التفكير فميسا حدث .. كان
هرا .. ماذا دفعه الى الزواج ؟
لماذا تقدم الى ليلى ! لماذا اقترن بها ..
لم يعد في استطاعته الفكاك .. ولا
بد ان يعالج الامور بحكمة وصبر ..
كلن في الزمن الماضي يهرب من مثل
هذه المشاكل .. لا يهتم .. لكنه الآن
مضطر الى احتيال المكاره .. فكر في
العودة ثانية .. لكنه اثر ان يذهب
الى البيت ويرسل في طلب عايدته ليقتف
على جلبة الامر ..
القاهرة جمعة محمد جمعة

بد ان اعرف ما حدث .. لا شك
انها اسأت الى ..
قالت ليلى مجبشة بالبكاء :
— شعبان ارجوك دعني الان ..
لا احتل اكثر من ذلك ..
قال شعبان متضايقا :
— لماذا تزوجتي ؟ .. اكنت
تعرفيني ؟
قالت وهي ترمقه حزينة :
— لا .. انا ايضا قبلت الزواج
منك .. اكنت تعرفني ؟
— لا ..
هبت واقفة وقالت وهي تجز على
اسناتها :
— شعبان .. ان يكون بيننا زواج
الا اذا عرف كل منا الآخر ..
وغادرت القاعة مسرعة .. شيعما
وهو يهز راسه ويتيمم : « انتهى
افعين .. لقد افسدت حياتي ..
لكن لا بد ان افعل شيئا .. »

مساند الكنية تبكي .. قال منزعجا
وهو يحاول رفع راسها :
— ماذا بك يا ليلى ؟
قالت وهي ترفع اليه وجهها مفرقا
بالدموع :
— من ؟ .. شعبان .. ؟
قال شعبان وهو يجلس بجوارها :
— اجل يا ليلى .. ماذا حدث ؟ ..
ماذا قالنا لك .. انني امرهما ..
كلناهما عدوة لي ..
قالت ليلى وهي تجف دموعها :
— لا شيء يا شعبان ..
قال شعبان :
— لا يمكن .. دموعك تقول :
حدثت اشياء كثيرة .. تولي يسا
ليلى .. لا بد ان اعرف ..
قالت وهي تشيح عنه بوجهها :
— لا .. ليس الآن ..
قال شعبان غاضبا وقد نفذ صبره :
— لا يمكن ان احتل ذلك .. لا

مكتبة الاديب



الانسان والشیطان

مجموعة قصصية تأليف ابراهيم المصري - ١٣٦ صفحة - العدد ١١٨ من سلسلة « كتاب اليوم » - ديسمبر ١٩٧٦ .

في اقصايي الكتاب الكثير والقاص الجيد ابراهيم المصري ، ليس للوحة الاولى انه ينصهر لفكرته اولا ، فالفكرة هي العمود الفقري الذي يبني عليه هيكل القصة . وقد يسأل سائل : وهل هناك قصة بلا فكرة ؟ . نعم لكل قصة فكرة او بضمون او مغزى . لكن ابراهيم المصري حين ينصهر لفكرته ، فان الفكرة تستحوذ على اية ، وتسيطر على مقدرات شخص قصصه ، فلذا بهم جميعا مريوطون بخيوط كمرئس المسرح ، والحركة للخيوط كلها هو الفكرة المحيطة على ذهن القاص ، ولا عجب في هذا ونحن بسدد مجموعة قصصية تحت عنوان « الانسان والشیطان » ، لننور قصصها حول الشيطان المهرج في نوسنا . وقد انصهر الاسناد ابراهيم المصري لفكرة فصل الشيطان على الانسان ، ووجوب المكافاة من غوايته ، واستنفاث الارادة الكليقة نينا . اقول انصهر المصري لهذه الفكرة ، فهو لم يكتب قصة واحدة ، وانما سجع خيوط مجموعة قصصية يجمعها نسج الفكرة الواحدة ، وان نفعوت ويديك الفتيحة والمصابين من قصة لاخرى . لكن لا مشبهة في ان الكتاب يقيد من المجموعة كلها هذا الشيطان المهرج في خفايا ، والذي سيميل بانه يله في كل صلاة وفي تلاوة القران .

الشیطان الذي يتقمصه ينشغل في صور مختلفة ، فيقلب اوضاعها ، ويجعل امور حياتنا تختل . وشیطان المصري ننزع بين الحب والطمع والفساد والحسد والمفارقة والكهولة والذهاب والاستبداد والقصص والبحرية . وربما اکتفى بهذه الشیاطين كالمئة الشیاطين اخرى . ووجه مينا نديج يرامه الكفيلة للانصهار لفكرة .

والحديث عن انصهار الفكرة عند ابراهيم المصري ، يعمتنا الى الحكم عليه بهذه كاتب ملتزم . ولعل هذا ابرز ما يميز كتاباته ، والالتزام نجد جليا واضحا في قصصه بأسلوبها القاطع الحادس ، وفي الاصلابة القوية قوة الفكرة وروسخها ، وفيما يكتب من مقالات تلزم بالتمسح الجائز وشحد الهمم والطفاقات الانسانية نحو الارادة والعزيمة وغيرها من الفضائل .

والحديث عن ابراهيم المصري ، هو حديث عن مفكر ناشج ، ومصلح قويم ، واديب انسان ، وقاص مبدع ، وكاتب مخلص لهنه . لا يترخص في الاداء ، ولا يسانق وراء ضلالت القول . وانما — كما انطبع — هو صابغ في صومئته ، مفكر في كتاباته ، لا يني ولا يتوقف عنده الحد والحداد . وقد وجه جل كتاباته نحو الفضائل والتبسم الزينة ، فلذا فلا غرابة اذا قلنا انه كاتب ملتزم . الفزاد الاذیاب برسائنه القائمة من وجداته وفكره المستقلة من غيره . هو نوع من الالتزام الذاتي ، وهو التزام محدود طالما نبع من نفس الاذیاب السمعة ، ولم يعرض عليه من خارجها . ولا غرابة ايضا اذا قلنا انه كاتب منصر لفكرته ، بخلاف له ، من اول كلمة حتى آخر كلمة . والقصة عنده وعاء لتجسيد الفكرة ، او هو الثوب الذي ترتديه ، وفي سوء هذا المفهوم يكون التضميم او التقيد .

تتعرف في قصة « شیطان الحب » على عبد الفخار ، المحاسي الفاضح الذي يجلب الى امرأة محبوب ، واهمل شؤون بيته . ويضعفه الحب « الحبيب » الى تطبيق امراته ثلثا . ثم يصدم بنصرف صدفته ، الذي عمل على تزويج من يحبها ، من احد التراء ، حتى يصر عنه وهم الحب لآخرة تقدر به . ولكن نقد السهم ، وفلت اوان الخلد والريط . وقد نشاء الكاتب ان يوضح كيف يزلزل الانسان وراء وهم الحب او شیطانه سهوى الى الهواية . واذا نوقشت القصة بهذا الجمهور ، تكون قد نجحت في نقل الفكرة الى الاذهان . لكن الحديث عن المعالجة القصصية بلخذاً ابجاءها آخر . وما اعترض عليه في هذا هو شخصية عصام الصديق الوفي للحرص كل الحرص على حياة صديقه عبد الفخار ، واراد ان ينقذ من التردى في علاقة ضارة بينهم بيته . والى هنا ودور عصام الصديق واضح ومعموم ولا غبار عليه . لكن فصلا — من اهل حرصه على عدم الفخار — يعمل على اقناع ابنته — المرأة التي يلهت من الفخار ورأبها — بالتزواج من احد التراء ، لينقذ من طريق عدم الفخار . وكانت قبل ذلك نسعى لتزواج من نري آخر . نعل امرأة لمحب كاتبة ، يسهل لقاعها او فرض زوج نري لفتتن به ؟ . اقيب على الكتاب رسمه لشخصية عصام ، الخالصة جدا عالة على نصرها البعيد من الواقع . والقصة في اطرافها المعلم ، الى جانب الفكرة الجيدة والمعالجة الفنية ، ينبغي ان تكون منقطعة ورائقة الاحداث .

وهذا شیطان آخر اسمه « الطبع » ، ينقص نجوى وهي في مقدر الطريق . فس اجل المال قتلت نجوى مشرين عاما زوجا لمجور مريض ضم . ثم الفترت بشفاب طامع لاه حليا وبصمة الشجر ، ثم آل بها الحال الى الاقتران بمجور آخر وهو في الاصل حبيبا الذي كان يود ان ترامته رحلة العمر من عقابها .

واذا ما يطاك الانسان بشیطانه ، لا يتركه الا خطايا ، فلا يمنع له ، وتنفذ حياته طمعا الطوف ، ولونها البهيج .

وفي قصة « شیطان الشر » ، نصر الزوج حب زوجها المخرط ، وترجمه الى شياها وصحتها ؟ . والغلب شخصيات الكتاب ناصجة وواعية لخوالات الامور . وتنبش الزوجة من هذا ، اثر اصابتها بالسل الذي اوهن قوتها وصيرها من التقضى الى التقضى . ولعل اصابتها بالمرض من فزوم صنعة الكاتب القصصية ، لكنها صنعة مخرطة ، فالزوجة قبل مرضها ، قتلت من شدة نعلق الزوج بها ، وابتنت ان السحب يرجع الى صحتها . واذا بالكاتب — فلوكد هذا — يسوق مرض الزوجة ، وكان الاجدر به ان يترك الاحداث تسير على طور طبيعي لا تكلف فيه ، فالحسواس التي لعبت بعقل الزوجة ، كانت سابقة لارتباطها ، فعلام القلق وهي زوجة شابة جبيلة ، نعلق بصف الزوج ؟ . اما كان الاجدر بها ان نغلبا حين دأبها المرض ، بتحول زوجها منها الى صديقها يسيرة ؟ .

لكن الكاتب في فترة احضانها بالفكرة ، يقع في المحذور ، وتكون القصة مجرد تحليل منطقي لفكرته من خلال احداث قصة . مخالفة المراسح للكاتب ان الفكرة تغلب المعالجة ، بينما من سمات الفن الفاضح المرازنة بين الفكرة والمعالجة ، بين المضمون والشكل ، ومن خلال التماسق بينهما تبرز القيمة الجمالية .

ويعد في قصة « شیطان الفخر » ، مد طلق الرجل امراته من اجل يسيرة . وازاء ونوف الزوجة على حقيقة الامر ، ثار ناعها ، وانقلبت على الاكل بشعية حتى زانها المرض وارادت ثوب العافية . ويبدو ان الكاتب هنا يؤكد ان علاج الادواء له شقان : الاول الادوية والثاني الاعمال النسيئة . وجن تاملت للشفاء مرض مليا العودة ، ولا ادري الجبر وراء ذلك ، وقد تراجعت فيرها . توافق على طمعه اذا هو طلق يسيرة . وبعد الطلاق الذي لا رجعة فيه ، تنفض العهد ،

وتعرض عنه . لقد ملك شيطان الفرد من الآتين ، ملك الزوج حين مرهنت زوجته خلفها ، وتملك الزوجة حين قبلت الفرد إليه بعد طلاق الزوجة الجديدة ، ثم غدرت به .

ومن سبيل قصص المجموعة ، نجد المصري يلجأ إلى سلسلة زمنية واسعة لتعطيه حرية تطويع الأحداث لفكرته ، مما يجعل قصصه أشبه بسيرة حياة . ولا يحق لأحد أن يعترض ويسببها روايات ، فالمساحة الزمنية الواسعة لا تقبّل قصة القصيرة إلى رواية ، فملكنا هنا يهيم في المقام الأول عرض فكرة أساسية ، فإذا تحدثت بك عن شيطان الفرد ، فإنه يستعمل الأحداث فخر كشرط سينمائي ، يتجاوزها الجزئيات والتفاصيل ، نأزما نحو الكليات والتناجج ، فملكنا صانع فكرة بالدرجة الأولى . وما دامت القصة نعيما عن فكرة أساسية واحدة ، فليسها قصة قصيرة ، ولا يصحها الطول الزمني ، وإن كان فن القصة القصيرة أصعب من أن يكون مجرد تعبير عن فكرة ما ، لكن هذا هو مفهوم القصة القصيرة عند إبراهيم المصري .

ومن استقراء قصص المجموعة ، نجد أن العلاقة بين الإنسان والشيطان تحكمها قوة الإرادة عند الإنسان ، ويكاد يكون عنصر الإرادة هو سر عبقرية إبراهيم المصري . فإذا ما تهاوزنا هذه المجموعة ، وسطحا الزاوي على أغلب كتاباته ، نجد كتابا ذا رسالة أخلاقية ، لا يبيى في الكتلان عن إرادة الإنسان وقوته الذاتية سواء بالقصة القصيرة أو الخلق . فمن إذا ما قرأنا أدب المصري في شؤله ، وجدنا أدبا أخلاقيا بالدرجة الأولى ، وعلى دارس هذا الأدب الاسترشاد بهذا هذا الجانب ، الذي يكشف شخصية المصري ويبرز عبقرته .

اعود إلى حديثي عن عنصر الإرادة الذي يحكم العلاقة بين الإنسان وشيطانه . من خلال استقراء هذه القصص ، نجد الشيطان في حرب سبيل مع إرادة الإنسان ، أصناما لنصر الإرادة ، كما نرى في « شيطان الكهولة » حيث تظلمت طاعته الأوجمة فاعتصرت على شيطان الكهولة الذي وسوس للأمر بالاعتصاف بشبابها ، ثم تعرت في النهاية أن طاعته ساقها أهم من التقيد وراء الواسوس الخناسي ، لتضيق ، ويصلح ما الله بالشيطان ، وأخيرا أخرى بنصر الشيطان ، كما نرى في الشيطان القادرة . فالحال هنا ، يتقدم نأله الذي يزين له القابضة ، لطفه يصفه ، حتى يأتي الشيطان على ماله كله ، فيستدين ، ويصمم العلاقة بينه وبين زوجته الحاقلة .

ولكن المصري استثنى شيطانا من شيطانه ، واليه نوبا لحرا ، هو « شيطان العبقرية » ، حيث تمى علينا عبقرية بينون الذي قامو الصمم الذي حالي منه ، وكانت عبقرته الفنية أقوى مما أصبه . وأنا أخافه في أرجاع العبقرية إلى وازع شيطاني طيب ، نعم ، العبقرية تلعب الختان أو الفكر إلى الإجابة والاصالة ، وهي ثم عن موهبة معينة . لكن المصري أرجعها إلى « نأر داخلي » يستوطن نفس صاحبها ، ولا لغاضبة في هذا ، لكننا ينبغي أن نفرها عن أصل الشيطان . ولا يشك الفسائل هنا ، ونستثنى شيطانا واحدا ونطلع عليه ثوب الفضيلة أو الفن أو الإصلاح ، فالشيطان ، كما ورد في القرآن الكريم ، هو الرجيم ، وهو الواسوس الخناسي . ونحن نستفيد بالله من شروء ، والشر الصق بالشيطان ، حكما بطلقا ، لا رجعة فيه أو ممانعة . ويمكن أن نقول « نأر العبقرية » بدلا من « شيطان العبقرية » ، صونا لعبقرية التي تسمى لاسماد البشرية والإزفاء بها في شتى الحالات .

وتولي هذا يجعلني أقف أيضا عند « شيطان الحب » ، نزيها لفئة الحب ، فألعب بيسو بالناس ، والشيطان يدمعها إلى الخضض . وما سلفه للكتاب في أحداث القصة ، يصور غواية امرأة لرجل ، فينوم أنه يهيم ، وتسلان الفرق بين الحب والوهم .

وإذا جئنا الحب والعبقرية ، ويرتاضها من غواية الشيطان ، ثم قليبنا في صفات الطبع والفرد والصدق والمقدرة والكهولة والدعاء والإستعداد والتمتع ، نجد فيها من الشر أو الإفساد أو التلاف ما يحق

أن نضفيها إلى وسوسة التساطيع المعردة في دخائل النفوس ، والتي سبيل إرادة وعزيمة وجهد النفس من أجل السيطرة عليها وتوهرها .

ويعد إبراهيم المصري علامة بارزة في تاريخ القصة القصيرة المصرية . ولقد ما يبرنا إخلاصه ورواهه لهذا الفن الشائق ، حيث وصف عمره في الكليات القصصية . وهو في كل ما كتب ، يبرز استنادا واثقا في القصة الحقيقية القصصة ، ومن خلالها ، يتنقل مفكرا بأصبا ، صاحب رسالة يحلها في المقام الأول ، وهو ما يفره له زلته في الملاحظة الفنية ، أو نوبه في منعة مشكلة أخلاق ، أو رسم شخصيات نمطية .

يقول في تقديمه قصص المجموعة : « لكل إنسان شيطانه ، وروايل الناس وشهواتهم هي شيطانيهم » ، تترى بهم ، ونفوسهم لهم بالشر ، ونحاول أن نتجلبهم ونفريهم . مهم أو أساسا لها قيادهم ، واستغلبوا صغرهم وسلطانها ، فهي لا بد أن تسببهم بهم . فتلعب أطباعهم ، وتخلق شيطانهم ، فيمنع الشيطان منهم ، ويحلبهم في النهاية هم أنفسهم إلى شيطانيهم » .

وفي هذه السطور يبرز الفكرة التي حزت الكتاب والهمه بهذه القصص المرة الطعلا . أسأل الله أن يمدنا غواية الشيطان ، وأن يمدنا بعون منه يسبقه وتعالى ، كي نحرر أروافنا ونستنهض فسيالنا ، وأن يقينا شروء التساطيع الموسوسة في صدورنا ، وأن يصبر قلوبنا إيمان بالقضال وإسهاجان للفتن .

القاهرة

حسنني سيد لبيب

نضم من الخلد

ديوان شعر — للدكتور محمد عبد الجم فخامي — ٢٠٥ صفحات

ديوان « نغم من الخلد » هو الديوان الرابع للشاعر الدكتور محمد عبد الجم فخامي ، يصدره رابطة الأدب الحديث بالقاهرة في مائتي صفحة وخمسي من القطع المتوسط ، يسجل هذا الديوان على التتبع وأربعين قصيدة ، وطبعين شرحين ، أولاهما عنوان : « ملحمة الشيد » وتليهما عنوان « زائد بحول في القور » .

والشاعر يلزم في تلك القصائد جميعها بالوزن والقافية ، ما عدا ملحنيه السليقين التي نوع في نلمها الشعرية على نحو واضح ، وكان هذا التنوع نفسه — فيما اعتقد — سببا في إطالة القص الشعرية ، وبخاصة في هذا اللون من الشعر ، شعر المحولات والأمم ، الذي يقتضي الطول والموضوعية والظلال المصرفة ، وما إلى ذلك ، وكذا قصيدته التي عنوانها : « الوداع الأخير » التي يعود تاريخها — على حد تعبير الشاعر نفسه — إلى أربعين عاما مضت ، وهي من الشعر الطعري الذي ينضج فيه اللون من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت فيها ، مع تغير القافية كل عدة أبيات ، وهذا النوع الواضح في النغم الشعري سواء في ملحنيه السليقين ، أو في قصيدته السائلة أيضا يذكرنا بصنع شعراء مدرسة أبولو الشعرية الذين دوج معالهم على تنوع النغم في القصيدة الواحدة حتى تسوبق شتى الأنفعالات والمواضع ومختلف التبروات والخواطر ، فالشعر الجيد — عندهم — إنما يكون بارزناسته وهيمسته ، وإبداعه وإيمانه ، وما فيه من حلجات الألفاظ ونيفات القلوب ، وهي العاطفة ، وتعزف النغور والوجدان . ونفريه هذا الديوان يحس بالأسلحة الفنية ، والأبصيرة الواضحة تتدفق في جل قصائده ، وتترقق بين أدواحه وخمائله ، وبخاصة في قصائده : (يا عيد) و (موكب علوي) و (أسنان القرن) و (إنسان الآسلاف العظيم) و (يا دار حبي) وغيرها .

وهو في قصيدته الأخيرة يبرهن أنها جعلها في بكاء دار أهليه ، والتجمع على معارته لها ، وتليه عنها ، بيد أن نظرتها لها لا تلبث أن تنفر سريعا كلما أبعنا في الفزادة بيتا بعد بيت ، لأن ثم تكن دار حبه

التصوف الى قتالده الروائية الباكية ، التي لا يرثي فيها صديقا ولى ، ولا يبكى فيها خلا وفيها ودع الدنيا ، وإنما يبكى فيها جده وهله ، ويومه وامسه ، ونهاره وليله ، ففى قصيدته : (سراب) التي كتبتها روح عالمة من الرومانطيقية الحقلة الجديدة يقول :

وي لاصبي ولأياصبي وي ولليلى ونهارى العيسرى
التي كسل القسى قد ذهبت وتسلتت بسدا من راحسى
وبقياء الضلم كانت يبيدى ايسن ما كان قريبا يبيدى
ابن امس الصوم والى روىي تسم ابني الى القسى و بطني
والرؤى اصحت خيالا ودجسى بعد ما كانت سنى في نازفى
وسراب كسادب يقدغنىي تكلسا سررت وبقتسى ناظرى

تجربة وجدانية لا احسبها الا صادقة ، تجربة حية نابضة ، عاشت في نفس الشاعر ، وغشيت روحه ، واستقرت في وجدانه ، وطلعت على احاسيسه وشاعره ، ونهضة طفت على سطح شاعريته ، بعد ان سبغت طويلا في اعماقه المخفية بالبحر ، الفصحة بالآلام فكانت تلك اليبات وغيرها ترجبة صادقة عنها ، وبيانا واما لكل ما يكتنفها ، ويجلل جوانبها من شعور واحاسى .

بيد انه وهو في قمة الانفعال الكتابي ، والاسى الشاخن يعود الى ماضى امته ، امة الاسلام العريقة ليمعد سوريا من ابعاده الماوية واماها المحظوة ، واطحانها المضيعة ، ثم يرسل اناته المخالفة ، وتوجهاته الاالة حين قال :

يا لاهى امسى ايسن مفسى ايسن ولي ذلك الماضى الزكى ؟
ويبقى الشاعر على حقيقة هذا العصر ، وما تطوي عليه سرائر امله من فرط في الدين ، وتشجيع لكتاب الله ، وهي حقيقة مرة بلا شك لذا اطلعت اليبات تنسقب من جديد في بحر لحي من الاناس والاحزان والهموم والتشجان ، وطر نفس البحر الذي سبغت فيه ابيات القصيدة طويلا ، ثم كانت اجابته على السؤال الذي طرحه انفا :

حطيتك ايسنى حين ريمت بتكساب الله بالبور السنسى
ولي قمة القياس الذي يسيطر على روحه من كل اصلاح ننظره الامة
يعود الى الشاعر الاول من جديد ، ويعيت بذهنه وخاطره نور يلوح من بعيد في فطون المسفل الزاهر الذي ننظره امة الاسلام التي لا تغير ولا تزل ، ولا نهان ولا تضام :

امسى لا تبايسى لا تبايسى بمك العزة من وهسى نيسى
ومع اليوم قد يصغنه اى له بالدين وبالهدي السوسى
ونلقى الروح الوطنية التي خضعا بعدة قصائد من بينها :
(وطن الفدا) و (انصار الشعب) و (شهيد العروبة) و (هي الاحلام)
و (الى التسحاب) وغيرها ، تنفى هذه الروح على باقي قصائد الديوان على نحو واضح اكيد .

والديوان - بحق - يتحول في جانب كبير منه الى سجل حائل بالمكرمات والفكرات الاسلامية الخالدة ، والتمناج الوطنية الفاضرة ، التي ترصد الشاعر فيها ثقافة عالية بنوعة الرواد ، ولا غرو فالتكوير الشاعر او الشاعر المفكر مكتبة عالمية منبقة ، وهي تشبيه اسبح لنقصي يقاتله في هذا اقام ، يشهد على ذلك احواله التي تراوحت بين التاكليف والترح والتحقق ، والاشارة على العديد من الرسائل الجالبيعة ، وغير ذلك .

افرا له مثلا قصيدة (يا عيد) او قصيدته (صوت من القاريخ) او غيرها من قصائد هذا الديوان من املال : (ام تطوى) و (دارها الشمس) لتكس بان الشاعر قد تحول فيها جميعها الى موسوعة ضخمة ترصد القارى ، يمدد لا يتنقل من الامجاد الاسلامية المأروية ، والمفاخر العربية المحظوة في سجل الزمن ، والمتفورة ب تربة الايام والدحور .
والشاعر فوق هذا يحسن استخدام الصورة في شعره ، وهو لا يتقنع في ذلك بالواقع المحسن كان نتوى صورة مكورة لتظهيرها للحياة ، ولكنه يفسى عليها من رفيف حسه ، وصادق عاطفته ما يجملها

على الحقيقة سوى ارض مكة المكرمة التي زارها ، ووصل في اناء اقامته بين ارجلها بين يافى الاسلام وحاضره ، وبين اسلمائه القوية واماينته الفؤارة وتلك الفياح الطاهرة ، وبواطن الفكرات العابرة ، عليه يقول :

يا ارض مكة طبت من ارض مبا ركة وطل على الهوى اسمعدي
فبك ابنى ، وبك الرزى ، وبك الهوى يا ارض مكة منك كان سهادي
ما لقت يا ارض الهوى طعم الهوى ابيدا بفرك يا مفسى ايامي
انت التي اسمعدي انت التي بيوك كل هوك كان جهادي
في الكعبة الشماء والحرم الابى ن وزمزم والحجر طال رتادي
والى الصفا والمروة البيضاء وال حجر الاتسم حجيت في اميادي
والركن ييسم والمقام منور والعنبد والحجاج كالأبياد
ان كان يصغنى الصود نقد نضا عفا في هوى دار الهوى حسادي
ودعها وبقيسى الكلوم نا ر كالفلى شبت بسلا ايقاد

هذه العاطفة الحارة التي يحسها القارى وهي تنطق في ابيات القصيدة يستعين الشاعر في سبيل ابرازها بذلك الاسلوب المتقن القوار في غير انتطاع حين يقول :

بك ابنى ، وبك الرزى ، وبك الهوى يا ارض مكة منك كان سهادي
انت التي اسمعدي انت التي بيوك كل هوك كان جهادي
لم يلك العنبد الهائل من التكتلات التي تنسب الى اروع ما على ارض الحرمين المبارك من مشاهد ووزارات ، لها قداسها ومزنتها في نفوس الصالحين في شتى البقاع من املال : (الكعبة) (الحرم) (زمزم) (الحجر) (الصفا والمروة) (الركن) (المقام) (البيت الحرام) .

وهو حين يفكرها انها بيد في هذا الشكر لذاته ، وبني نفسه وخاطره ، فقلبه ينشئ بعبها ، وقلبه يترجم عن جيل فدها ، وعواطفه مشدودة دوما اليها ، حتى انه ليكنى ان يفتى البيت الباكى من غيره بين اقباليه :

يا ليست ايامى هناك ولينى في ارض الامامى وفار نلادى
ذلك لانا على حد قول الشاعر :
كل الشا من نورها ، كل الشا في قريبا ، كل الهوى بمؤادي
ولي نهاية القصيدة يشعل قلبه حسابة وتسخ روحه ولما فرسول الاسلام العظيم ، نصس لك في قوله :

قدس من الاقداس في دار الهوى نعمت به روىي وطاب فؤادي
وسريسة من احمد يصغنى صلى عليه الله في الايد
صلى عليه الله في الاحاد صلى عليه الله في الانهاد
صلى عليه الله اكبرم يرسل سبت الحياة به وعز الوادي

والشاعر في جل قصائد الديوان يمزج بين الروح الدينية والقرعة الوطنية الخاصة ، وهو في ريبته بين الاتجاين ، ومزجه بين الفرعين لا يتورط في عيب يزري بريقه شعرة ، ولا يفسى من شانه ، فلا غيورات فاطرة ، ولا انتطاع فمالي في روحه الشاعرة ، بل انصال والشحلم ، وتوازم واتزان ، ففى قصيدته : (انسان القرآن) المشعة بلوب خالص من الشافية الدينية ، والمزرة بظلاله رقيقة من اليبائية القوية يقول :

يا لاهى البست الجديد تعدنى من كل مالى في الملا لم يزم
طويت صحتقه وغاب صباهه ومضت مفاخره بطول ندم
وتحننى يا لاهى عن حاضره بالهون بالاسم المضاف مضم
والمجد القصى هناك وقدسنا بابتا ببادية القسام للوم
ونقم نحن على الجديد تعدنى نحا ونحن بارفنا بجهنم
لا لن ننام عن النصال عن الكفاح عن الفرات وكل فخر المصلم
وسوف نشعلها لنقى متاججا ونقول للبلبل المذج اقدم
قوى الانى اسولوا على الدهرى وشوا الى اقال نوخ الاتجم
وبلكننا ان نعلم على ابتاد اخرى من هذا الصنع اللذ في تصالده :

(الى عرقات) و (ام تطوى) وغيرها ، بل ان هذا الصنع نفسه يمتدى قتالده المطبوعة بطابع الدين ، او التي تظهر عليها بسحة من

جديرة بالبناء والخلود ، فهي قصيدته (العلم الكبير) يترجم عن أسس
مباني الحب والوفاء ليلد الحرام مكة أم القرى ، بعد أن شارفت رحلته
إلها على الانتهاء حين قال :

ولبت أتوا بي وعمدت بعمري
والدمع والاحزان تملأ رجلي
ونظرت وأتصور الممشع والذي
وتسعى بي سيارة مغمورة
تتلقى الكفك بالتعميل شجونا
تعبا لها وكان صوت زيتها
تضئني قسم الجبال والتشيبي
بيدي على كبدى وأمسح جرحنا
وأقول : يا لدهر فسر بيئنا
وغدت ليالي الوصل تنذب حلقنا
وأنا الجريج وعادت الأيام تة
طلع بالفراق وبالشفت شمسنا
وأطل المصع الهنون وصورة
المافي الجميل.. وآه من هذا الفضا

هذه الصورة الكائبة فوق ما أضاع عليها الشاعر من رهيف حسه
وصائق عاطفته يجسد لها جملة كبيرة من الإنفاز ، التي نعين على إعطاء
الصورة حجمها الطبيعي ، وإبعادها الحقيقة التي أرادها لها من أمثال :
(نبرة) (دمع) (الإحزان) (مغمورة) (الكفك شجونا) (تصاب لها)
(تعب الغراب الشوم) (أمسح جرحنا) (فراق بيئنا) (المصع الهنون)
الخ ..

ثم يوازن بين تلك السيلارة المغمورة وبين نفسه التي تكأها الدهر
بالفراق ، وما جرحه من جراح وآلام تارة ، وبينها وبين الغراب الشاق
الذي يضرب به القوم الخلل في الشوم وسود الطالع تارة أخرى ، وهي
مخيلة ما ظن الشاعر قد انقطع ، ثم سدسها في شمره ، وجعلها إحدى
مكونات صورته عينا ، وأنها هي في الحقيقة ولادة لخصبي صادق
وعاطفة قوية جيلانية ، والفعال أضح أكد فصره في نفسه ، ثم بين
السطور التي نال من خلالها تجربته ما كان يحس به من مرارة الرحيل
وآلم الوداع .

ويترك الشاعر في أهازجه والشجالة في يميني تصفد الديوان ،
ويترجم عما يلاقيه من معاناة صريحة ، نابعة من مجاهدته للحياة ،
ومجاهدة الحياة له ، فالمحبة التي قد يكون لها وجهها المشرق في يميني
الأوقات ، لا تثبت أن تتحول في غيرها إلى مخلوق له ألف وجه عابس ،
يطعها الوجود ، وهنا يكون الانفعال وتشد وقدة العاطفة في نص
الشاعر الذي يبلي في مجادلة الحياة ، ومجاهدة الزمن ، وتحدي رباح
العدم ، فيكون الصدق وروعة الأداء .

يبدو أن شاعرنا في عراك دائم مع الحياة ، ينتصر عليها مرة وتنتصر
عليه مرات ، وهكذا تسان الحياة مع الناس ، أن هذه الحركة العاجية
المتصلة في نفسه على غير النطاق مع الحياة ينطبع أثرها على نفسه ،
ومن هنا كانت تصادته السابحة في أجواء خالصة من الرومانسية المعلقة
المجددة ، أن البسمات عنده تتحول إلى عبرات تنصر أعمامه ، وتبرز
وجدانه وخلفه :

يسماني عبرات عصرت كل أعمالي وهزرت خافتي
وإن العبد ليفرن منه بعد أن راين الشيب يرحف نحو هابته وبغشي
مأرضه ولسته ، ولهذا يرى نفسه مزيبا في دنيا المأني والفرات والخي ،
حتى الطيف يجنو به كآلال ، ويهجره في غير وصال ، تطالع هذه المأني
وغيرها في قوله :

نسر المبدع لمرأي الشيب في قنسي في عارضي
ما أهر العين كم أشقى به يا لزمان الفراق العسر الشقي
يسأ أضلال شيباني والمسا أنا بعد الوصل بلقاي قصي
المقاسي والفواني والقاسي أنا منهم غريب اجنبي
وأجنواني الطيف حتى الطيف يو جرتي كآلال يا لي من شجي

صورة حزينة رائية ، وواقع الميم مر ، لا يقل عنها في مدهاها
المقايي ، ونعمها الألم ، ونيفها الحزين تصيبته (ابن الصدى) التي
يقول فيها :

كسل أحلامك عانت سدى لا نقل لي : ابن الصدى
ذهبت كل القسي بسدا وبمع اليوم كرهت الفدا

وتستمر إبياته على هذا القبط الشاخن السامع ، والتحو الحزين
الرائي حتى أنه فينتهي أنه لو كان جملدا ، أو زيدا على أواج الميم ،
أو موعدا خلوا عن غم المذاري ، أو بلبلأ فردا على الدوح ، أو قطرات
حلوله من القدي تتفرق على الزهر في رعدة عذرية في وقت السحر ،
ثم يقول :

لا نقل لي اسم هذا ؟ أنا من القسي نفخت اليدا
وكأسي آه في قيسم وقلي الباب قد وصدا
يسأ أفضي تلك الشجون تم ش ونحيا بيننا أبدا
قد تحداسي الزمان وما يصنع المعجز طول المدى

ونفحة يعمرده الأمل الذي كان قد انقصد — على ما يبدو — في زحام
الأيام والقيالي ، فتنحجر أسارير وجهه ، وبزاياله الميوس فيقول :

ريسا تنسي للقيالي يسأ بهر الطم به الأبد
ليس في الدنيا محال وما يعجز الساعة قد بانسي فدا

هكذا يطوف بنا الشاعر في آفاق نفسه المبهمة ، ويسري بنا في
أغوارها المخبوءة ، ويضرب على كل وتر آس حزين ، ويطفف بلأهائنا
صورا يتي من الهوم النقال ، والمأسي العظام ، ثم ينفجرنا في الفؤالة
بنكذ التبرة القطة ، والهيسة الجيدة الوادة ، خلف عنا كثيرا وقع
أفهم ، وأزال عنا ركابها هلالا من الإحزان .

وبلغت نظرا في الديوان تصادته الكثيرة التي كانت تقوم عنده مقام
الرسائل الأدبية ، أو الهدايا الغالية السنية ، يزجها في أمثال عظيم
إلى إصدائفة وفلانة في بحر ، وفي غيرها من بلاد العروبة والإسلام ،
وهي وإن أصبحت يطابع الشاعر الشخص ، لأنها في الحقيقة قطعة من
حياته ، ونيفه قوية من نيفاته ، إلا أنها لم تفل من لسة شاعرة في كثير
من الأحيان في تصيبته (بقايا حلم) التي أهداها إلى الأديب السعودي
الكبير عبد العزيز الرفاعي نطالع له هذه الإبيات التي نوج بها قصيدته :

أصيات الخسيس طيبت وطابت في القياي ليلائك الخالذات
وكان القشاة منك ربيع والربيع الزهور والبسمات
أنا لسي فيك ساعة من صفاء يعذب الصمي بعدها والصب
واقول الفدا : لا أقم لها ولا جاضا لسة ألبات
انقل الخطو فيه على الشوك وشمل الأهباب فيه شحات
وغسدي آه كله لفسح صيف فافني الحب والإجباب فافسوا
وستبقى لهم على الدهر لكرى أين منها الأراج والفكرات ؟

إلى أن قال :

أيهما القلب يا غزادي المني حبك الشجر المر والميراث
وجها الأصاب والقيل والقال وصال في الميراث وولاء
فعلى أيام الوصال صلاة وعلى أيام الميراث الرجاء
هي في كلبتي سلوة وحسن وهي في سمي اللحن والنفيا

وهذا الوفاء الذي يتفطل في مسارب تلك الإبيات ، ويثبت بين
أرجلها يجمعها تشد على يديه ، وتطلب منه المزيد من الصادات والإتصار
التي نرجو لها أن تتحول إلى رائد جديد يسحب في نهر العروبة الخلا ،
تيزداد بذلك للعربية خيرا وعظاما في المستقبل الواعد القريب .

جامعة الأزهر — أسبوط محمد سعد حسن نشوان

١ - صلاة بدائية

للشاعر محفوظ داود سلمان - منشورات وزارة الاعلام العراقية
٩٦ صفحة - دار الحرية للطباعة - بغداد



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بندها شهر
يناير ، كانون الثاني

تدفع فية الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

أشترك الانصار

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاطلاع تراجع ادارة المجلة

Dir. 223819
Dle. 225139

الادارة : ٢٢٣٨١٩
الكل : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨-١١
بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البحر اديب

دايت وزارة الاعلام العراقية على نشر المزيد من دواوين الشعراء في العراق
والبلاد العربية على حد سواء فكان جهدا بشكورا ومجلا مباركا وفر على
اكثرهم تكاليف الطبع والتوزيع الى جانب اثناء المكتبة العربية بالدواوين
الشعرية الحديثة ، ومن هذه الاصدارات في سلسلة ديوان الشعر العربي
الحديث ديوان الشاعر محفوظ داود سلمان والموسوم « صلاة بدائية » .
يتألف الديوان من ثلاثين قصيدة كتبت خلال الستينات الا قصيدة
واحدة « المرويا » فانها كتبت عام ١٩٧٥ .. كل القصائد عبودية الاقباغ
تظهر في بعضها انفس الياس ابو شبكة في « اعاعي الفردوس » استمع
اليه يقول في قصيدته « حواء في حالة » :

لم نزل هواء نهبها وهج من دم الاتم وجرح في الضمير
لم يزل في دمها نبع اللقي يتجلى انعوانا في سرير
وبعينيها جذى شيطانيها يلهب النيران في الطين الحفر

وسودم تبقى قابسا مشتركا بين الشعارين الا ان شاعرنا يفرق في
ايمانها بأسلوبية تلون قصائده بالصباغ حزينة كآثا ترانيم صونية تجرد
عن كل مصلحات العصر ولعلها العنكسات الواقع الذي مر به الشاعر
اتذاك .. وللشاعر قصائد قومية ووطنية أمثال : النجر العربي . وصوت
من قبر عربي في فلسطين . وصوت من عدن .

٢ - صفحات من كتاب الحياة

شعر صالح مهدي عماش - منشورات وزارة الاعلام العراقية
١٦٠ صفحة - دار الحرية للطباعة - بغداد

يضم الديوان اثنين وعشرين قصيدة تنسم بحرارة الايمان في سبيل تحقيق
الاهداف القومية في المستقبل الزاهر ومدى الفجيرة والانتقال الذاتي
والحماس المتفوق على قرار قصائد محدود ساسي البارودي لان كلا
الرجلين كان سابطا تنقلب عليه الروح الحرة والفرقة العسكرية يؤمن
ايضا مطلقا بالجهل الجرار والذوق الهادئ والطعن والاندماج يقول :

أمنت بالجهل الجرار يليه عزم أطاح باهل القدر والكتب
أمنت بالذوق الهادئ أينه صوت يفرق بين الجد واللعب
أمنت بالذوق المصور بسنده نسر يصول وكس في القصر من رهب
أمنت بالشعب في نيل الحقوق كما أمنت بالطعن والاندماج والحرب

ويؤثر الشاعر على واقع النجزة والاستلاب :
هل المني نوى والسيف ممتنع وهل عسى هوى في كوفة القدر
لا لو القطار برد الجيش منكرا ولا الويبس يلبجها بنو مصر
وشاعرنا أبو هدى يحذو الوفاء الى توقيع عبد السلك الدبيلواسي
فيقول :

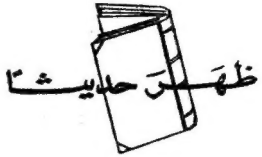
انسدي ان ذكرك سوف يبقى
وان النشوق اليك لن يوتئ
فانسي لن احاول ما تبقى
من الالباس ان اساك حقا

وينتظر الشاعر غداة (مسرقتي دوم) في براغ نزل عنه نزعته
العسكرية ويتحول الى ملاك رحمة .

وينتهي الديوان تشكرا لوزارة الاعلام العراقية ومن الله التوفيق .

كاتبكم محمد حسين

الكوت - العراق



صفحة - منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين - دار الحرية للطباعة ببغداد .

● الخاتمة في العصر الأموي : القائما . عقدها . شرونها . طرقها . علاماتها . خطها الدينية . وثائقها : ولاتها ، دواوينها ، جندنا ، رانها وبخشا ، آراء الفرق فيها - ناليف ثريا ملخص - ٦٨ صفحة - حجم كبير - صدر في بيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخلفاء الأمويون : أعمالهم ، أهم الحوادث ، أهم الوثائق ، ولاتهم - ناليف ثريا ملخص - ٢٨ صفحة - حجم كبير - صدر في بيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابليلا أبو ماضي : دراسات عنه وأشعاره المجهولة - ناليف جورج دينيري سليم - ٢٠٨ صفحات - حجم كبير - منشورات دار المعارف بصرى - سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٧٠ - مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● زينة - رواية - ناليف جهدي النجار - ٦٤ صفحة - منشورات مجلة الثقافة ببغداد - مطبعة النضال ببغداد .

● مواقف مع الصحافة العربية - ناليف ياسر القهد - مصم الغلاف أبو الهند جهاد عساف - ٨٤ صفحة - حجم كبير - مطبعة خالد بن الوليد (٢) - (صدر في سورية) .

● جعفر الخطيب والقصص العراقية الحديثة - كتبها بالإنجليزية جون توماس هابل ونال بها درجة الدكتوراه من جامعة ميشيغن - قام بترجمتها : وديع الشبيخان والدكتور صفاء خويصي - قدم لها محمد عبد الغني حسن - ٢٩٠ صفحة - حجم كبير - الدار العربية للطباعة ببغداد .

● الآثار الخطية في المكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني - ناليف الدكتور عماد عبد السلام رؤوف - الجزء الثاني - ٦٤٤ صفحة - حجم كبير - دار الرسالة للطباعة ببغداد .

● أبو جرادة ويكها - قصة مدينتين - ناليف ذو التون ايوب - ١٧٨ صفحة - كتب بخط اليد - صدر في ليبيا القيسا .

● ما . . . وانت وعوس تزح - مجموعة شعرية - نهاد رضا - الرسوم لسحر أرناؤوط - ١١٢ صفحة - مطبعة دار الحياة ببغداد .

● البعد المظنور - مجموعة شعرية - نهاد رضا - الرسوم لسحر أرناؤوط - ١١٠ صفحات - مطبعة دار الحياة ببغداد .

● الباهرة - رواية - ناليف أملي نصرالله - الغلاف لفروان الشهبال - الرسوم الداخلية إلى نصرالله - ١٩٢ صفحة - منشورات مؤسسة نوفل ببيروت - طبع في دار غنودر (بيروت) .

● الأبيض والأسود وقصص أخرى - ناليف جمعه محمد جمعه - ٢٨٨ صفحة - مطبعة الجبلاوي (القاهرة) .

● ديوجين الحكيم - مسرحية شعرية في أربعة فصول - ناليف عدنان بردج بك - ١٤٠ صفحة - منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احمد بن الجزائر - ناليف رشيد الفوازي - ٤٠ صفحة - سلسلة عقلاء بلاد - منشورات دار النجاح للطباعة والنشر والتوزيع في تونس - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● محمد العربي زروق - ناليف رشيد الفوازي - ٤٠ صفحة - سلسلة عقلاء بلاد - منشورات دار النجاح للطباعة والنشر والتوزيع في تونس - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● السلطان في الظل - مجموعة شعرية - حسين علي محمد - الغلاف والرسوم ليوسف غراب - ٤٠ صفحة - ساعد اتحاد الكتاب العرب ببغداد - مطبعها بمطابع روتا برنت للطباعة بالقاهرة .

● تاريخ القضاء الإداري ونظام مجلس الدولة في سورية ، نصوص دستورية وإدارية غير منشورة - ناليف الدكتور عدنان الخطيب - ٢٧٢ صفحة - حجم كبير - مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة - دار نافع للطباعة (القاهرة) .

● ترقية النيل - شعر - سعيد الصفدي - الرسوم الداخلية والغلاف بريشة الشاعر - ١٦٠ صفحة - منشورات وزارة الإعلام والثقافة بسقط سلطنة عمان - المطبعة الحكومية بسقط .

● العالم يبدأ من هنا - مجموعة قصص - ناليف مالك عزام - مصمم الغلاف عزيز اسماعيل - ٩٦ صفحة - مطبعة الرازي (دمشق) .

● عودة الليسان - شعر - عبد السلام هاشم حافظ - ١٢٦ صفحة - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

● سنائر الودج - نثر وشعر - ناليف شفيق معلوف - خطوط المناوين لجان نكته - ١٤٤ صفحة - (صدر في سنل بارلو بالبرازيل) .

● شلب بن العين - مجموعة شعرية - علي محمد إسماعيل - ١٤٤ صفحة - دار القومية العربية للطباعة بالقاهرة .

● ١٧ قصة قصيرة لإبراهيم العنسي وإبراهيم الخطيب وأحمد عبد الحق وأحمد مودة وأنور أبو مغلي وحسن أبو اله وخليل السواهي وسالم النحاس وسعدا أبو عراق وعدنان علي خالد ومحمد أبو صوفه ومحمد خروب ومصطفى صالح ووليم طه ويوسف الفز ويوسف حمزة ويوسف يوسف - مصمم الغلاف يوسف الحوراني - ١١٢ صفحة - منشورات رابطة الكتاب الأردنيين - المطبعة الاقتصادية في عمان .

● تصاد دامية الحرف بيضاء الليل : من أجل لبنان - شعر - عبدالله الملايلي نائب رئيس الأكاديمية اللبنانية - ٧٢ صفحة - حجم كبير - مؤسسة أ. بدران وشركاء - مطابع أ. بدران وشركاء بيروت .

● هل نذكرين ؟ - شعر - الدكتور باقر سمكة - ١٠٤ صفحات - خط هذا الديوان الفنان كريم حسين - مطبعة أوفست الوسام ببغداد .

● اللبائيع - شعر - محمد بن علي السنوسي - ١١٢ صفحة - حجم كبير - مطبوعات نادي جيزان الأدبي - شركة المدينة للطباعة والنشر في جدة السعودية .

● علي الهباش - ناليف غلال ناجي - ٢٧٢ صفحة - منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين - دار الحرية للطباعة ببغداد .

● وجه في مرآة الشمس - شعر - خالد الخورجي - مصمم الغلاف صباح التميمي - ٨٠ صفحة - ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعها - مطبعة الأجيال (بغداد) .

● شعر ابن طليطاي العلوي - تحقيق وتقديم جابر الخفائي - ١٨٢